

5 me Année, No. 277

Lundi - 24 - 10 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٧٧ « القاهرة فى أول رمضان سنة ١٣٥٧ — ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــــرس

العامية والفصحى

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

أنا متهم بعدائى للغة العامية ، ويا ما أكثر من فى الحبس من مظلومين — كما يقول عامتنا فى أمثالهم — ولست أريد الآن أن أدافع عن نفسى وأبرئها من شيء ، فان لى الحق فى المعاداة والمصافاة كغيرى من الناس تبعاً لرأيى وهواى، ولكنما أريد الآن أن أضع أموراً فى مواضعها على قدر ما يتيسر لى ذلك

الأمر فى اللغة العامية أن نطاق الأداء بها محدود . وهي فى هذا النطاق وافية بالحاجة وكافية جداً للأغراض التى تطلب بها ولكنها تخذلك إذا أردت أن تتجاوز هذا النطاق . أي أنها تصلح للحديث العادى والحوار فى المسائل اليومية، وللعبارة بها عن الأغراض المألوفة بين الناس عامة ، فاذا أردت أن ترتقى بها عن هذه الطبقة وأن تتناول بها حديث العلم أو الأدب أو الفلسفة أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى قصرت بك وعجزت عن الوفاء بهذه المطالب فتحتاج إلى لغة أخرى تستطيع أن تواتيك وتساعفك — لغة أخرى تكون أوفى وأزخر وأوفر مادة وأكثر عناصر، ولا لغة هناك لنا غير اللغة العربية الفصحى التى لا تعد العامية إلا لهجة مشتقة منها . وهذا شأن كل لغة عامية فى الدنيا . وكل

عامية تعجز عن أداء ما هو أكثر من المطالب المادية . وحدود كل لغة عامية هي حدود العامة أنفسهم، ونطاقها هو نطاقهم، فاذا احتجت إلى ما يجاوز نطاق العامة ويرتفع عن طبقتهم فانه لا يسعك إلا أن تلجأ إلى لغة أوسع من لغتهم وأغنى وأقدر . قد يقال ولكن في الدنيا عاميات ارتقت إلى مصاف اللغات الفصيحة كالايطالية واليونانية الحديثتين. وهذا صحيح غير منكور . وفي وسع كل عامية أن تصبح هي لغة الكتابة والأدب والعلم والفلسفة وما إلى ذلك إذا وسمتها وضبطتها وأجريت الأمر فيها مجرى اللغات الصحيحة ذات الأحكام والضوابط، وأنجيتها من الفوضى التي تلازم العاميات في العادة . وهذا هو الذي حدث في اللغة الايطالية الحديثة واللغة اليونانية الحديثة اللتين حلتا محل اللاتينية والاغريقية القديمتين . ومؤدى هذا أن العامية عندنا في صورها الحالية لا تصلح للأداء ولا لأن تتخذ لغة كتابة وأدب وعلم وفلسفة وغير ذلك لأنها فوضى وتحتاج إلى ضبط وإصلاح وتوسيع وإغناء . وقد قلت « في صورها الحالية » ولم أقل « في صورتها الحالية » وأنا أعني ما أقول ، فان عامية مصر غير عامية الحجاز أو العراق أو الشام أو تونس والمغرب على العموم أو السودان ، ولكل بلد من هذه البلدان عاميته الخاصة، بل نحن في مصر لنا أكثر من عامية واحدة، فعامية القاهرة غير عامية الصعيد وغير عامية الاسكندرية أو الأقاليم الشمالية ، فأي هذه العاميات كلها تريد أن تكون لغتك ؟ ولكل منها خصائصها وعناصرها التي اقتضت طبيعة الحياة الخاصة بها أن تتألف منها . فعامية مصر أو عاميات مصر — فانها كثر — فيها عناصر من العربية والفرعونية وعناصر من اللغات الأوربية بحكم موقع البلاد الجغرافي، وعامية العراق فيها عناصر من العربية والتركية والفارسية والهندية وغير ذلك، وهكذا

والعامية لا ثبات لها ولا استقرار . والملاحظ — والطبيعي أيضاً — أنها ترقى مع انتشار التعليم وتقترب شيئاً فشيئاً من اللغة العربية . يدل على ذلك — إن كان الأمر يحتاج إلى دليل — أن حوار المتعلمين لا يكاد ينقصه من اللغة الفصحى إلا ضبط أواخر الكلمات أي بناء الكلام على معاني النحو ؛ والعربية على عكس العامية أداة ثابتة على كثرة ما يطرأ عليها من التطور، وهي تتسع وتلين وتزداد صقلا على الأيام على خلاف العامية التي لا تثبت ولا تستقر بل تندمج في العربية بعد أن اشتقت منها وانفصلت عنها

وهنا أنتقل إلى نقطة أخرى أود أن تتقرر في الأذهان؛ وتلك أن العامية ليست لغة أجنبية وإنما هي لغة عربية محرفة، فهي بنت العربية وصلتها بها وثيقة كما هو الحال في كل عامية بالقياس إلى اللغة الصحيحة . وكثيرون منا ينظرون إليها غير هذه النظرة ، فاذا كتبوا أو خطبوا اتقوها جداً وخافوا منها وتحاموها ونفروا من كل لفظ مستعمل فيها ، وبهذا يباعدون مباعدة شديدة غير نافعة بين الكاتب والقارئ، وهذا خطأ فان العامية كما قلت بنت العربية وفرع منها ، وإذا ما نظر الانسان إلى العامية هذه النظرة ألفى فيها كنوزاً ونفائس لا تقوم، وأغناه ما يجد فيها عن كثير مما يلتمسه ولا يهتدي إليه ، أو يهتدي إليه ولكنه لا يكون في الأكثر والأعم إلا نابياً ثقيلا مستكرهاً في السماع أو منفراً من العربية نفسها . وقد كنت كغيري أتقي كل لفظ مما يجري على ألسنة العامة لتوهمي أن ما يجري على ألسنتهم لا يمكن أن يكون عربياً صحيحاً ، ولكن مطالب التعبير والأداء أحوجتني إلى البحث عن مفردات كثيرة فالتمستها في كتب الأدب ومعاجم اللغة ، فأما المعاجم فقليلة الغناء في هذا الباب وهي تجمع الحي والميت من الألفاظ ولا تفرق بين هذا وذاك . وأما كتب الأدب فان اللفظ المستعمل فيها يكون لفظاً حياً استطاع أن يبقى ويدور على الألسنة والأقلام ، والألفاظ كالناس وككل مخلوق ، تحيا وتموت ، والصالح منها هو وحده الذي يبقى ، أما غير الصالح فينتهي به الأمر إلى أن يهجره الناس ويتركوه مدفوناً . ولا خير في محاولة إحياء لفظ مات ونشره بعد أن طواه الزمن، وإنما الخير أن تتركه حيث هو وأن تلتمس سواه من الألفاظ التي قدرت على البقاء والمكافحة والنضال

نظرت هذه النظرة إلى لغتنا العامية فعثرت بلا جهد أو مشقة في بحث على مئات من الألفاظ العامية التي تتوهم أنها غير عربية أو لم يستعملها العرب ، ونتحاماها لذلك ، ولو استعملناها لجاء الكلام أوضح وأبين، ولكان فهمه أسهل ومطلبه أيسر . وبعض هذه الألفاظ عربي أصيل ، والبعض مولد أو دخيل ولكنه

مما استعمله العرب وأجروه مجرى ألفاظهم الأصلية . وكل هذه الألفاظ تمتاز بأنها استطاعت أن تعيش وأن تجرى على ألسنة الأمم والشعوب، آلافاً من السنين الطويلة، فمادة الحياة فيها قوية ولا معنى لهجرها وإهمالها لا لسبب سوى أن العامة يستعملونها كأن كل ما يستعمله العامة يجب أن يحتقر ويرى ويطلب غيره ، وهى سخافة ظاهرة

وقد علمت أن الدكتور احمد بك عيسى قدم إلى المجمع اللغوى رسالة فى الألفاظ العامية وأصولها تشتمل على ما قيل على ألفى كلمة ، ولاأعتقد أن فى هذا الرقم أدنى مبالغة فانى أنا وحدى بلا بحث يستحق الذكر وبمجرد تقييد ما يعرض لى من ذلك فى مناسباته العارضة وقعت على أكثر من ألف كلمة ، وقد نشرت فى الرسالة طائفة منها، فأحر بالباحث الذى يعنى بدرس الموضوع وتعقب الألفاظ أن يهتدى إلى أضعاف أضعاف ذلك . والذى أرجوه أحد أمرين، أن يطبع المجمع هذه الرسالة النفيسة: أو إذا كان ثم مانع معقول — ولست أرى أى مانع — فليطبعها الدكتور عيسى بك ولينشرها فان الفائدة منها جزيلة ، إذ كانت هذه الألفاظ السهلة المعروفة التى يفهمها كل انسان متعلما كان أو غير متعلم تغنينا عن ألفاظ مهجورة ميتة نضطر إلى الالتجاء إليها والاستعانة بها على التعبير فلا يفهمها أحد إلا بالشرح والتفسير أو الرجوع إلى المعاجم ، وهذا كله عناء باطل لا يجوز تكلفه مع وجود الألفاظ المأنوسة

إن اللغة — كل لغة — ليست أكثر من أداة للإفهام أى لنقل المعنى أو الصورة أو الاحساس أو الخالجة على العموم من ذهن إلى ذهن ونفس إلى نفس . واللغة — كل لغة — بطبيعتها أداة ناقصة ووسيلة غير وافية ، وهى فى الحقيقة أشبه باشارات الخرس التى تشير إلى المراد ولا تبين عنه . وكل من عانى الكتابة بأية لغة يعرف ذلك ويحسه ويستطيع أن يشهد به . وما أكثر ما نعجز عن التعبير عنه فنتركه إلى سواه مما يؤاتينا عليه البيان ، ومتى كان هذا كذلك فان من الشطط أن نزيد الأمر صعوبة بالإغراب والحذلقة بترك السهل إلى المهجور ، والمأنوس إلى الحوشى ، أى بجعل مهمة الافهام أشق على الكاتب والقارئ معا ، وما دامت اللغة العامية مشتقة من العربية وفرعا من أصلها فان من الحق أن نترك ما فيها من الصحيح وأن نروح نبحث عن غيره لنعبر به

وفى العامية فضلا عن ذلك تعابير لا سبيل إليها فى اللغة العربية على ما نعلم ، مثال ذلك هذا البيت العامى :

« يا بت أنا بدى أبوسك بس أبوسك
واطرب وأحظى بكؤوسك رق شوية »

هذان البيتان العاميان كل ألفاظهما عربية صحيحة — البت هى البنت ولو نطقتها بنت لما تغير الوزن . وبدى من قولك لا بد لى أو من قولهم بودى ، وأبوسك كلمة عربية صحيحة لا تحريف فيها ولا تصحيف ولا شىء غير ذلك والفعل باس يبوس بوسا وهو عندى خير من قبل يقبل . وأطرب وأحظى والكؤوس ورق كلها أيضا صحيحة . بقيت شوية وبس ، فأما شوية فتصغير شىء ، وأما بس فلا مثيل لها ولا غناء عنها بغيرها فى اللغة العربية . وقول الشاعر العامي أوالشعبي « بس أبوسك » تعبير لا يقابله مثله فى العربية، وقد حاولت مراراً أن أجد بديلا منه فلم أوفق . فاذا كان غيرى يستطيع أن يهتدى إلى بديل منه فى اللغة الفصحى فليفعل وليحتقب شكرنا . أمثال هذا التركيب لا أرى أى مانع من إدخاله فى لغتنا العربية الفصيحة والانتفاع به فيها وإغنائها بذلك فانه تعبير ينقصنا فعلا وإن كنا لا نعدم منه بديلا غير سائغ أو مقبول . ومن هذا القبيل كلمة « بق » وكثيرون يظنونها من الفعل العربى « بق يبق » والحقيقة أنها فرعونية الأصل ولا معنى لها، وإنما هى كلمة يستعان بها على التمهل للتفكير مثل كلمة « ألور » فى الفرنسية

وألخص موقفى من اللغة العامية ورأيى فيها فأقول إنها فرع من هذه الشجرة العظيمة التى نمت على الأيام وأصابها الركود الشديد عصورا غير قصيرة وأعنى بها اللغة العربية . ولكنها — أى العامية بحالتها الراهنة لا تصلح أن تكون أداة لأكثر من التخاطب فى الشئون العادية فلا يجوز اتخاذها أداة للكتابة

وما يطلب بها من الأغراض، وهى فضلا عن قصورها تختلف باختلاف الأقطار بل الأقاليم المتقاربة، فلهذا لا تصلح أن تكون لغة عامة، ومن السخافة أن تتخذ لغة قاصرة غير وافية لا يفهمها إلا عدد محدود وأن نهجر لغة عامة يفهمها كل أحد فى كل بلد. ومن السخافة أن نقتل لغتنا العربية التى خلف لنا أصحابها كل هذه الكنوز فى الأدب والعلوم والفلسفة والتاريخ وغير ذلك من أجل لغة لا ماضى لها ولا حاضر أيضا، لأنها غير ثابتة وتحولها دائم مع ارتقاء التعليم وانتشاره، ولا مستقبل لها كذلك إلا الاندماج فى اللغة العربية الفصحي بفضل تقدم التعليم وانتشاره كذلك. ولكن هذه العامية التى لا تصلح أن تتخذ أداة الكتابة عربية الأصل وإن كان فيها كثير من الدخيل من لغات أخرى بحكم اتصال الشعوب بعضها ببعض وأخذ بعضها عن بعض، ولهذا يحسن الانتفاع بما فيها من العربى الصحيح وإن كان محرفاً قليلا. ويجب لهذا الغرض أن نعنى باحصاء الألفاظ العربية فى العامية وأن نردها إلى أصلها إذا احتاج الأمر إلى ذلك وأن نستعملها ونستغنى بذلك عن البحث المقيم عن ألفاظ أخرى بدلا منها فيما مات من ألفاظ اللغة العربية وعجز عن البقاء. وفى العامية فضلا عن ذلك تعابير مثلها غير موجود فى العربية، أو موجود ولكنه غير سائغ، لا يقبله الذوق العام، فهذه يحسن اتخاذها أيضاً وإغناء العربية بها فانها بذلك تتسع وتلين وتكتسب المرونة اللازمة. فيحس ابن اللغة وهو يستعملها أنها أداة حية نابضة لا جامدة ناشفة.

وأظن أنى بعد هذا لا أحتاج أن أقول إنى لست عدواً للعامية أو سواها؛ وقد يساعد على نفى هذا الوهم أن أذكر أنى استعنت بها فى الحوار فى بعض ما كتبت من الروايات أو القصص بالقدر اللازم ليس إلا — استعملتها فى هذا النطاق المحدود فى روايتين على الخصوص رواية ابراهيم الكاتب ورواية تمثيلية اسمها « غريزة المرأة أو حكم الطاعة » ولكنى التزمت حدوداً معينة لم أتجاوزها. ولا يحسب أحد أني أريد الاعلان عن هاتين الروايتين فقد نفدتا من زمان طويل.

ابرهيم عبد القادر المازنى

في سبيل الإصلاح

المشـــكلة الـكبرى
فى حياتنا الاجتماعية
للأستاذ على الطنطاوى

« أعد الأستاذ هذا البحث ليحاضر به الناس فى ناد من أندية دمشق الأدبية، ولكن مرض الكاتب ولبثه أربعين يوماً فى المستشفى، ثم اضطراره إلى السفر العاجل ليتسلم عمله فى مدرسة بعقوبة (العراق) حال دون إلقائه »

صورة المشكلة

آلاف مؤلفة من الشبان يبيتون مسهدين ينتظرون أزواجهم اللائى خلقهن الله لهم. وآلاف مؤلفة من الشابات يبتن الليل مؤرقات ينتظرن أزواجهن الذين برأهم الله لهن والدرارى تطل من شرفة الغيب ترقب تعارف أبويها، لتأخذ باذن الله، طريقها إلى عالم الوجود، فيكون منها عباد لله صالحون، وجنود للوطن مخلصون، وأنصار للحق ثابتون

ثم إذا قدر الله وكان زواج، كان الزواج (أكثر ما يكون) همًّا ونكداً، وخلافاً مستمراً، وآض البيت من بعده جحيماً محرقاً، وسجناً مظلماً، ونشأ الأولاد على غير تهذيب، ومن غير دين ولا أخلاق...

هذه هى صورة المشكلة: انتظار أليم يسلم إلى الجنون أو إلى الفسوق أو إلى اليأس، ونقص فى الأولاد، وضعف فى الأمة، وخراب للبيوت، وضياع للأسر، وفقد للسعادة...

سبيل العلاج

هذه هى صورة المشكلة، فما هى أسبابها؟ وما نتائجها؟ وما علاجها؟ بل وما نفع الكتابة فيها؟

لقد كُتب فيها وكُتب (حتى لو أن محصياً أحصى المكتوب فيها لجاء معه كتاب ضخم) فلم يُغنِ المكتوب شيئاً، ذلك أن المشكلة تحتاج إلى حل عملى يقوم به الآباء، لا إلى نظريات وفلسفات يدلى بها الكتاب والأدباء، من أجل ذلك نحوت فى

هذا البحث نحو العمل فلم أتعمق ولم أتفلسف ! ومن أجل ذلك ضربت من الواقع أمثلة ، وأخذت من الحياة شواهد وصوراً ... على أنها لا تغنى المباحث ، ولا تجدى الشواهد ولا الصور ، ولا المقترحات ولا الآراء ، مالم يحققها عقلاء الآباء ، أو من لهم فى الأمة أمر أو نهى ، من أرباب الحكم وأصحاب السلطان !

موانع الزواج

لو سألت أكثر العزاب من الشبان : « ما منعكم من الزواج ؟ » لكان جواب الأكثرين إن لم أقل جوابهم أجمعين : « المهر ، وما يتصل بالمهر من تكاليف وبلايا » ، ولست أذهب بالقارئ إلى بعيد ، بل أضرب له المثل من نفسى ...

أنا أريد الزواج ، وأنا امرؤ فى رأسه أشياء وليس فى كيسه شىء ... أما الذى فى رأسى ، فقد أفنيت فى تحصيله شبابى ، وبيضت فى طلبه ليالىّ وسوّدت نُهُرى ، وخدعنى عن حقيقته معلمىّ فحسبته أثمن شىء فى الوجود ، وصدقت أن العلم خير من المال ... فرأيت من بعد أن المال خير من كل شىء ... وأما كيسى فما فيه وفر ، ولكن فيه مرتباً يكفينى ويكفى بحمد الله أربع زوجات مى ، لو أن الزوجة بقيت إلى اليوم شريكة الحياة وربة البيت ، تطلب حياة هنيئة وزوجاً صالحاً ، بيد أن هذا كله قد ذهب ... وصارت الزوجة (يا أسفى !) متاعاً يشرى ، ولا بد للمتاع من ثمن ، فاذا أخذ الأب الثمن لم يبال بعده شيئاً ، ومتى كان يبالى التاجر إذا استوفى الثمن بأخلاق الشارى أو سيرته فى أهله ؟ وثمن الزوجة (أقل ما يكون) خمسون أو مائة (ليرة) ذهبية ، فتصور يا صديقى القارئ متى تجتمع لرجل مثلى مكساب متلاف لايستطيع أن يمسك شيئاً ، أو لا يفضل عن نفقته شىء ؟ وليست هذه المصيبة كلها . إن بعدها نفقات العقد (الكتاب) وقبل العقد خاتم الخطبة ، وما يكون إلا من الذهب ، و (الشبكة) وما يصلح لها إلا حلية لها قيمة ... وبعد العقد الهدايا واللُّطف يحملها إلى دار (الزوجة المتيدة) كلما زارها ، ولا بد له من أن يزورها ؛ ثم تأتى بلايا العرس ، وما أدراك ما بلايا العرس : كسوة أهله وأقربائه ممن تجب عليه نفقتهم (وكسوة النساء أقبح التبذير ، لأنهن يشرين قماشاً لا يدفئ ولا يستر ، ويدفعن ثمنه غالياً، ثم إذا مرت شهور بطل طرازه (مودته) فأصبح لا يصلح لشىء . . . وبعد الكسوة نفقات حفلة الزفاف . ثم إذا دخل على زوجته ، وانفرد بها ، لا تكلمه حتى يدفع إليها (ثمن شعرها) وهى جملة من المال لا تقل عن (بضع ليرات ذهبية) ولا حد لزيادتها ، وما أدرى والله كيف تنزل الفتاة للحلاق عن شعرها يقصه ويلقيه على الأرض ، ثم تطلب (ثمنه) من زوجها ؟

ثم إذا أصبح أعطاها (وجوباً) عطية أكبر من (ثمن الشعر) هى (الصُّبحة) ، فاذا زال النهار أهدى إليها هدية ، لا بدّ أن يكون فيها إزار للحمام ثمين وقد يكون منسوجاً بخيوط الفضة ، ومناديل (مناشف) الخ . . . ثم تأتى نفقات (السبعة الأيام) يقيم فيها الأقارب والأهلون فى داره ، تولم لهم كل يوم الولائم ، ويطرفون بأنواع الطرف ، فاذا انتهت دعوا جميعاً إلى الحمام ، وقد قلّ ذلك فى هذه الأيام منذ كثرت الحمامات فى الدور ، وأهملت الحمامات العامة أو كادت ، ثم يدعو أهلها (أى أهل الزوجة) جميعاً وأهله إلى وليمة كبيرة تسمى (التعريفة) يعرّف فيها بعضهم ببعض — وقد يبلغ المدعوون إليها المئات فى بعض الأسر الكبيرة . . .

فأنى لمثلى الطاقة على هذه المصروفات التى تخرب بيوت الأغنياء ؟ وإنى لأعرف قاضياً شرعياً زوّج ابنه ، فتكاثرت عليه النفقات ، فلم يقدر عليها حتى باع بيته — لينفق ثمنه فى ليالى العرس ! هذا أول موانع الزواج وأظهرها . . .

الحجاب

وهب أنى قد وقعت على كنز ، أو أصبت إرثاً فأصبحت غنياً وتوفر لى ما أبتغى من المال فكيف أختار زوجتى ؟ أما الحاسرات المتبرجات اللائى يعرف الرجال كلهن : صدورهن ونحورهن وأيديهن وسوقهنّ ، فأنا (بحمد الله) أعقل من أن أتخذ منهن زوجة ، ولو كانت ابنة ماء السماء ، وأعلم العلماء ، وما أحسب ذا دين ومروءة ، يرضى أن يتزوج بمن رضيت لنفسها إهمال الدين ، وإسقاط المروءة ، بتعرّضها فى زينتها وفتنتها للرجال ، تستهويهم وتأخذ بأيديهم إلى النار . . . بقى علىّ المتحجبة من بنات الأسر ، وهى التى لا سبيل إلى رؤيتها إلا ليلة الزفاف ، بعد أن يكون الغلّ قد استدار حول عنق ؛ والقيد قد أحكم إقفاله على يدىّ ورجلى ، ولم يبق لى إلا أن أقبل

بها ولو كان لها وجه قرد وأخلاق شيطان !

أفهذا من المعقول ؟

يريد المرء سفراً ، فيتحرى عن أخلاق رفيقه أياماً ، ليعلم أيوافقه أم يخالفه ؛ ويبتنى أجيراً فيراه ويبحث عن أصله وفصله ، ويجرّبه أياماً ؛ ويعزم على أن يتزوج ، فلا يرى رفيقة حياته ومهوى قلبه ، وموضع حبه ، إلا بعد أن يتمّ كل شئ ؟

مع أن الشرع أباح له أن يراها ويجالسها[1] . . . ومع أنها تخرج إلى السوق فيراها (على خلاف الشرع) البائع ومن كان عنده ، ويقدّم إليها القهوة ويحادثها ، ويراها عمال السينما ، ويراها ويراها ، فما الذى حاق بالآباء حتى هان عليهم كل محرّم ، وصعب عليهم ما أحلّ الله ؟

هذا هو المانع الثانى من موانع الزواج ، بل إن هذا الوضع هو الذى سبب ما نرى من تبرج النساء وحسورهن ، وعريهن على السواحل . . . ولا علاج له إلا بحجاب شامل (وذلك ما لا يستطاع) أو بسفور شرعى ، كالذى سماه صديق الأستاذ عز الدين التنوخى بسفور الراهبات، وذكر أن الحشويين الجامدين ، يقابلون من يدعو إليه بالسباب والشتائم ، وذلك هو الواقع ، فان هؤلاء قائمون بالمرصاد لكل من يعرض رأيا فى إصلاح حال المرأة الذي كاد يصل إلى حدّ العرى المطلق بل لقد بلغه فعلاً . . ولكنهم لا يأتون بأى رأى منْ عند أنفسهم ، ولا يهتمون بما يرون ، فهم هادمون ولا يبنون ، وهم مفسدون لعمل كل مصلح ولا يصلحون . . . ولله الحمد على أن ضعفت مُنّتهم ، وخفتت أصواتهم ، وبادت جماعتهم ، ونسأل الله أن يبدلنا بهم علماء يفهمون روح الاسلام ويعرفون حقائقه ، ويفهمون روح العصر ويعرفون حاجات أهله

الخلاف العائلى

فاذا يسر الله لامرىء سبيل الزواج ، وأنجاه من هذه الموانع ، عرضت له مشاكل ، ورأى من المتاعب مايندم معه على ما أتى ، ولو ذهبت تتقصى أحوال المتزوجين ودخائلهم فى بيوتهم لوجدت أكثرهم متألماً شقياً ، ولهذا الألم أسباب يمكن تلافيها لو فكر فيها الزوج ، وعزم على التلافى .

أول أسباب الخلاف

أعرف أخوين : أما أحدهما فشيخ محافظ توفى رحمه الله من سنين طويلة ، وأما الثانى فأديب موسيقى على الطراز الجديد . تزوج الأول ، ولبث مع زوجه ستة عشر عاماً حتى توفى عنها ولم يكلمها على مسمع أهله كلمة ، وإنما كان يوجه الكلام إلى أخته سائلا حاجته ، أو يأمر أخته أن تقول لها مايريد ، وألفت ذلك منه ورضيت به أو صبرت عليه . وكانت تخشاه تخشيتها الله أو هى أشد خشية . . وأما الثانى . . لا . بل إن أكثر من عرفنا من الأزواج (المجددين) تتحكم بهم نساؤهم ، فيأمرنهم وينهينهم ، ويشتمنهم و . . ويضربنهم ! وهم يخافونهن ولايجرؤون عليهن . .

أى أن الأزواج بين رجلين ، رجل أهمل سلطته ، وأسقط عاطفته ، فكان فى بيته سيداً ، ولكنه لم يذق طعم الحب ، ولاعرف السعادة الزوجية ، ورجل تبع عاطفته فأرضاها ، وأهمل سلطته فأضاعها ، فعاش فى داره عبداً . . وتفصيل ذلك أن الزوج هو الذى يحكم على نفسه ، ويختار طريقه . فاذا دلل زوجه فى الأيام الأولى ، ومثل لها (دور العاشق فى الروايات الخيالية ، ومنحها قياده ، وأراها أنها حياته ، وأنها الآمرة الناهية عليه ، وتذلل لها وخضع ، (ولذة الحب في التذلل والخضوع) ألفت ذلك منه ، وتعودته . . فاذا طارت من رأسه سكرة الحب ، وأحب أن يحكم فى الدار ، كما يحكم رب الدار ، وجد الأمر قد أفلت من يده ، فيبدأ الخلاف ، ثم لاينتهى أبداً . وإذا هو ضبط نفسه فى الأيام الأولى ، ولم يعط إلا بمقدار واستعمل عقله وسلطانه ، ألفت منه الزوجة ذلك ، فوجدت كل عطف منه بعد ذلك غنماً كبيراً . .

فالزوج العاقل الحازم من لم تلهه حلاوة العسل التى تدوم له شهراً ، عن مرارة العلقم التى ستبقى دهراً طويلاً . ومن لم تشغله اللذة الجسمية العاجلة ، عن السعادة الروحية الآجلة ، فليتنبه لهذا الأزواج ، فمن هنا منشأ الخطر . .

حقوق الزوجين

ومن أسباب النكد الباقى ، والشقاء الدائم ، الخلاف على

(١) أى يراها غير حاسرة ويجالسها غير منفرد بها

حقوق كل واحد من الزوجين ، فمن الرجال من يأخذ أكثر من حقه ، ومن النساء من تقيم نفسها مقام الرجل ، وتفرض عليه سلطانها ، حتى إن الرعناء لتسأله : أين كنت ؟ ومن كلمت ؟ بل إن من النساء الجناوات المتحذلقات ممن يحسبن أنهن متعلمات ، من تحاسب زوجها على زيارته أهله ، وصلته رحمه ، وتثار عليه إذا كلم عمته أو زارها . . حتى أصبح الأمر فوضى لا ناظم له وظلمة لا نور فيها : مع أن الشرع الاسلامى (الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة ، إلا بين وجه الحق فيها) قد حدد حقوق الزوجين ، فجمل من حقوق الزوج على زوجته أن تطيعه فيما لامعصية فيه ، وأن تصون عفافها ، وألا تخرج إلا باذن منه أو لضرورة ، وأن تحرص على إدخال السرور عليه ، وألا تكلفه مالا يطيق ولا تطالبه بالزائد من حاجة نفسها ، وأن تبذل جهدها فى أداء واجباتها الدينية ، وأن تعطيه زمام الرياسة المنزلية. ومن حقها عليه أداء مهرها كاملا إليها - الانفاق عليها بالمعروف - أن يجتهد فى تعليمها واجباتها الدينية - أن يكتم سرها ولا يتحدث به - حسن خلقه معها — احتمال بعض الأذى منها — ممازحتها ومداعبتها [1] — أى أن للرجل على الجملة رياسة المنزل (حين لم يكن بد لكل شركة أو جماعة من رئيس) وله السيادة فيه ، وحفظ كرامته ، وإدارة شؤونه الخارجية والاشراف على أموره كلها ، وله الحكم فى كسوة المرأة وخروجها ، وله تأديبها بالعدل ، ومن غير أن يخرج على ما أحل الله وذكر فى كتابه ، وللمرأة حق التصرف بأموالها ، وإدارة شئون المنزل الداخلية ، والنفقة عليها وضمان حاجاتها اللازمة؛ ولها عليه أن يحرص على سعادتها وسرورها ، ويعاملها بالخلق الحسن ، والقول اللين ، ويتغاضى عن خطيئاتها ما أمكن التغاضى ، ويعلم أنها شريكة حياته ، وأدنى الناس إليه فلا يستأثر دونها بطعام أو شراب ، ولا يدعها فى المنزل وحيدة متألمة ، ويسهر فى المقاهى والملاهى ، ولا يقدم نفسه عليها فى كسوة أو متعة من متع العيش

المشاكلة بين الزوجين

وإن من أظهر الخلاف بين الزوجين ، ألا يكون بينهما مشاكلة ومماثلة ، كأن يكون فقيراً وتكون هى غنية ، فتعيره بفقره ، وتترفع عليه بمالها ، أو أن يكون من رجال الأعمال ، وتكون متعلمة ، على أن المتعلمة العالمة حقاً لا ينتظر منها إلا كل خير ، ولكن البلاء فى هؤلاء اللائى يحسبن أنفسهن متعلمات ، لأنهن كن قبل الزواج معلمات فى مدرسة أو مديرات ، وإن كن لا يفتحن فى السنة كتاباً ، ولا يفهمن شيئاً ، ولا يعرفن إلا تنكيد حياة الزوج ، وإضاعة ماله فى الولائم والاستقبالات ، والكسوة والزينة ، هؤلاء هن البلاء الأزرق ، وخير منهن الأمية الجاهلة. ومن أشنع أشكال الاختلاف بين الزوجين ، حال من يتزوجون بالأجنبيات ، فيرون منهن (على الغالب) ما يتمنون معه الموت الأحمر . وإنى لأعرف من الناس رجلا درس فى فرنسا وجاء معه بفتاة زعم أنها من أكرم الأسر الفرنسية وأعرقها ، فتزوج بها ، فكان من أيسر ما تصنع أنها تذهب إلى السينما فترى الضباط الفرنسيين فتحن إليهم بصلة الدم ، فتكلمهم وتصادقهم ثم تدعوهم إلى دارها فلا يروع صاحبنا إلا الضباط قد ملأوا بيته. ثم انتهى أمرها بالفرار مع واحد منهم !

ومن العجب أن دماغين كبيرين تواردت خواطرهما على مسألة واحدة ، وبينهما الدهر الأطول ، وبينهما ما بين المشرق والمغرب فوقعا فيها على الصواب الذى نعرفه ولا نريد أن نتبعه :

لما كانت القادسية ، ولم يجد الناس نساء مسلمات ، تزوجوا نساء أهل الكتاب ، فلما كثر المسلمات بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بن اليمان بعد ما ولاه المدائن : « بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها » فكتب إليه : « لا أفعل حتى تخبرنى أحلال أم حرام، وما أردت بذلك؟ »

فكتب إليه عمر : « لا ، بل حلال ، ولكن فى نساء الأعاجم خلابة ، وإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم »

فقال حذيفة : الآن ! وطلقها .

هذا حكم الرجل العظيم ، عمر ، وقد حكم به فى المدينة منذ ألف وثلاثمائة سنة .

وأما الثانى فحكم الرجل العظيم موسولينى ، حكم به المؤتمر الفاشى فى روما ، فى هذا الأسبوع ، حين كان من مقرراته منع الايطاليين من الزواج بالأجنبيات

فمن لم يعظه قول عمر ، فليعظه حكم موسولينى !

« البقية فى العدد القادم » دمشق على الطنطاوى

(١) حقوق الزوجين للأستاذ الشيخ محمود ياسين

كتاب المبشرين

الطاعن فى عربية القرآن

الشيخ ابراهيم اليازجى

لأستاذ جليل

— ٤ —

عمل (المضللون) بالقول الأوربى المشهور الملعون : (الأرب يبرئ الذريعة) فأشاعوا مشاعهم ، وطبعوا فى (كتابهم) مكذوبهم : « هاشم العربى الشيخ اليازجى » مسيئين إلى صاحب (الضياء) فى حياته ومماته . وقد صدّق الناس من بعد ما رأوا الكلام فريتهم . وهأنذا أصدع[1] اليوم بالحق معلناً فى (رسالة الاسلام والعربيــة) براءة اليازجى مما قذف به . ومى برهانان دامغان ؛ فقل للضالين المضلين أصحاب الكتاب المزور وذوى الكذب السخت[2] « قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »

البرهان الأول

كانت تلكم الاشاعة ، ونشر المضللون قطعة من (مكتوبهم) فى مجلتهم التضليلية . فكتب حجة الاسلام الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله فى (مناره) عجلان غير مستأن ولا متثبت — هذه الجملة :

« نشرت مجلة البروتستنت المصرية نبذة فى الطعن فى القرآن نقلتها عن كتاب لهم يقال : إن للشيخ ابرهيم اليازجى يداً فى تصحيحه أو تأليفه أو ترجمته والزيادة فيه »

(١) فى (الكشاف) : فاصدع بما تؤمر : فاجهر به وأظهره ، يقال: صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً كقولك : صرح بها من الصديع وهو الفجر ، والصدع فى الزجاجة الابانة

وفى (الاساس) : صدع بالحق : جهر به مفرقا بينه وبين الباطل

قال (اليازجى) : ويقولون أمره أن يصنع كذا فصدع بالأمر يعنون أنه أطاع وأمضى ما أمر به ، ولم يأت صدع فى شىء من هذا المعنى

(٢) كذب سخت وسختيت : خالص ، وفى كتاب تهذيب الألفاظ : زعم أبو عبيدة أن سختا بالعربية والفارسية واحد

وقد حدا الامام على التسرع بما كتب غضبه المغضوب للدين، ومزاج كريم يشتعل بأدنى قدح ...

فلما اطلع صاحب (الضياء) على الذى فى (المنار) هاج أيما هيج بل كاد يجن ؛ إذ فحواه عنده أنه عسيف[1] من السفساء عند (المبشرين) و « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها[2] » وأنه يجهل العربية — وما يعرفه منها هو رأس ماله فى الحياة — وأنه عدو للمسلمين — وهنا الخطب المهم — فسارع إلى إذاعة كلمة فى (ضيائه[3]) قال فيها :

« وقفنا نقلب الطرف فى هذا الكلام ونحن نستحضر ما كر علينا من سوالف الأيام ، ونتمثل ما مر بنا من غرائب الأحلام، لعلنا نتذكر فى أى عهد كنا من الناقشين فى العقائد الدينية ، وفى أى زمن كنا نؤلف الكتب فى الطعن على الأسفار السماوية . ومتى كنا نتعاطى حرفة التبشير بالأديان ، وأى ثمرة لنا فى صرف بعض القوم عما اعتقدوه من الايمان . أمور يعلم كل من له أدنى معرفة بنا أننا من أبعد الناس عنها »

« نحقق لحضرة الرصيف الفاضل أننا براء مما اتهمنا به أو اتهمنا به لديه ، وأننا من أبعد خلق الله عن هذه السخافات التى يتاجر بها قوم لاستدرار الرزق من أخبث موارده . وإن لم يكن له بد من ملازمة هذا الموقف والنضال بهذا السلاح فمنده من قسوس الانكليز والأمريكان ومن ينتمى إليهم من المتفسسين — وكلهم معروفون لديه اسماً وجسما — من يكفيه استنزالنا إلى هذا المجال ، وتكليفنا أن نعمل بضد ما طبعنا عليه »

هذا كلام اليازجى ، وهو قول الجاد لا الهازل ، والصادق لا الكاذب ، وقد كان الرجل صادقاً ، وكان ذا إباء وكبرياء ، يعرف ذلك فى خلائقه من يعرفه ، فلن يخدم المبشرين فى حال ، ولن يسف إلى تلك « السخافات التى يتاجر بها قوم لاستدرار الرزق من أخبث موارده[4] » ثم إن اليازجى من طائفة (الروم

(١) العسيف : الأجير

(٢) قال الميدانى : يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الاموال (٣) السنة (٥) الصفحة (٥٦٥)

(٤) ليسأل الجاهلون الأستاذ (قسطاكى الحمصي) فهو خليل (ابرهيم) وأدرى الناس بأخلاق (اليازجى)

وفى (أعلام الأستاذ الزركلى) : « وكان (يعنى اليازجى ابرهيم)

الكاثوليك[1] والمضللون من البروتستنت، والكاثوليكى حرب البروتستنتى، والبروتستنتى لأن الكنيسة الكاثوليكية عدو مبين فقل لي : « عمرك الله كيف يلتقيان ؟ »

البرهان الثاني

أغلاط اليازجي في إنشائه وفي تغليطه غيره ، فيها البركة ... لكنه لن يخطئ في ما أتخنه معرفة وفيما خطأ فيه الأدباء . وفي (كتاب التضليل) أغلاط نبه عليها هو نفسه . وكان إعلانه إياها وتلفيق ذاك الكتاب في برهة واحدة ، ومستحيل أن يحرم الخطأ عاماً ويحلله عاماً تلبيساً وتدلساً كدأب مضال أو شعوذى

وهذه أقوال (المضللين) وهذه أقوال (الضياء) :

١ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين ، الصفحة (٦٩) : « يتردد إليها جماعة القسس »

قال الشيخ اليازجي (الضياء ، السنة (١) الصفحة (٣٥٧) : « ويقولون جماعة القسس بضمتين ، يريدون القسوس فيحذفون الواو ، لأن فَعْلا الساكن العين لا يُجمع على فُعُل »

(قلت) : في (المصباح) : القس جمعه القسوس ، وفي (التاج) : جمع القس قسوس بالضم . وفي (اللسان) : القُسُس العقلاء ، والقسس : الساقة الحذاق ...

٢ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٨٤) : « إنه كان كسائر بنى جلدته » (يعني سيد الوجود صلوات الله وسلامه عليه)

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (١) الصفحة (٤٤٩) : « ويقولون : فعل هذا لمصلحة أهل جلدته يريدون قومه وأهل جيله — الجيل الصنف من الناس كالعرب والترك والروس — وقد أولع كتابنا بهذه العبارة ، وتناقلها بعضهم عن بعض من غير بحث ولا تنقيب عن أصل مغزاها ومراد قائلها »

(قلت) : تجادل الأستاذ قسطاكى الحمصى والأستاذ سليم الجندي في هذه اللفظة فوافق الأول اليازجي على نقده وخالفه الثاني فيه قائلا : « قال في اللسان وفي الحديث قوم من جلدتنا أي من أنفسنا وعشيرتنا » ولكل مقام مقال ، ولكل حال ألفاظ ، والقصد من إيرادنا قول المبشر وقول (الضياء) الأعلام بأن اليازجي لا يستعمل شيئاً أنكره هو

٣ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٣٢١) : « ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وإنما نحن مكلفون بالاعتقاد بأن الله لا شريك له ولا شبيه ومن هؤلاء مالك بن أنس »

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (٧) الصفحة (٣٢٣) : « ويقولون : كلفته بالأمر فيعدون هذا الفعل إلى المفعول الثاني بالباء ، والصواب تعديته إليه بنفسه ، تقول : كلفته الأمر)

(قلت) : الأقوال العربية والمعجمات كلها تساند اليازجي ، ولم يعد هذا الفعل بالباء إلا في كلام المتأخرين من المولدين . وفي (الجمهرة) : تكلفت الشيء تكلفا إذا تجشمته ، والكلفة من التكلف ، والتكلفة تكلفك الشيء وتحملك إياه

٤ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٣٩٢) : « فشرع (أي بحيرا الراهب) يفكر في ما يفعله لرد أهلها عن الشرك ويتطلب رجلا منهم يستعين به على غرضه حتى عثر بمحمد »

قال الشيخ اليازجي « الضياء السنة (٥) الصفحة (٦٢٠) في نقده (البؤساء) لحافظ : « وربما وقع له غير ذلك كقوله : (ألم تعثر في طريقك أيها الراهب بغلام) والمنصوص عليه في هذا المعنى عثر عليه لا به »

(قلت) : رويت في الجزء (٢٦٦) من (الرسالة) — الصفحة (١٢٨٨) ما قاله اللسان والصحاح والأساس في هذا الفعل ، ولا ريب في خطأ المبشرين

٥ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٣٢٧) : « وأنت إذا أمعنت فيه النظر وجدته »

رزقه من شق قلمه ، فعاش فقيراً ، غنى القلب ، أبي النفس »

وفي هذا الكتاب : « واستقر في مصر فأصدر مجلة (البيان) ثم أصدر مشتركا مع الدكتور بشارة زازل مجلة الضياء شهرية فعاشت ثمانية أعوام »

قلت : اشتركا في البيان ثم اختلفا ، وأنشأ اليازجي (الضياء) وحده ، وكانت تصدر مرتين في الشهر . والناس للطبعة الثانية من (الأعلام) منتظرون

[1] للروم الكاثوليك في بيروت مدرسة اسمها (المدرسة البطريركية) خدمت العربية خدمة عظيمة سبقت بها كل مدرسة في بلاد الشام . وكان من أساتذتها الشيخ ابرهيم اليازجي ، والشيخ ابرهيم الحوراني ، و (الشيخ عبد الله البستاني) — رحمه الله — وأستاذ البيان والأدب فيها اليوم هو الشيخ ابرهيم المنذر ، وكلهم نصارى ، وكلهم كبار

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (١) الصفحة (٣٥٤) :

« ويقولون أمعن فى الأمر وتمعن فيه أى تدبره وتقصى النظر فيه ، وربما قالوا تمعنه ، وأمعن فيه النظر . وكل ذلك غلط لأن الامعان بمعنى الابعاد فى المذهب ، وهو لا يستعمل إلا لازما . يقال : أمعنت السفينة فى البحر ، وأمعن الطائر فى الطيران إذا تباعد ، وقد يستعمل بمعنى المبالغة فى الأمر مجازا ، يقال : أمعن فى الطعام والشراب ، وأمعن فى الضحك . وأما تمعن فلم يثبت وروده فى شيء من كلام العرب »

(قلت) يقال : أنعم النظر فى الشيء لا أمعن النظر فيه . قالت (النهاية) ومنه الحديث : أمعنتم فى كذا أى بالغتم ، وأمعنوا فى بلد العدو وفى الطلب ، أى جدوا وأبعدوا . وقالت : « وفى حديث صلاة الظهر : فأبردَ بالظهر وأنعمَ أى أطال الإبراد وأخر الصلاة ، ومنه قولهم : أنعم النظر فى الشيء أى أطال التفكير فيه » وفى اللغة (التمعن) غير أن معناه التصاغر والتذلل انقياداً كما فى النهاية واللسان والتاج

٦ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب المبشرين الصفحة ٧٣) : « ولما كان محمد فى بادئ أمره يداريهم »

قال الشيخ اليازجى (الضياء السنة (٧) الصفحة ٣٥٤) :

« ويقولون فعل كذا فى بادئ الأمر أى فى أوله وبدئه ولا معنى للبادئ هنا لأنه اسم فاعل والمقام يقتضى المصدر أو الظرف »

قلت : قالوا : « وافعل هذا بدءاً وبادئ بدء وبادئ بدي » وفى (التاج) جل الصور لهذا التركيب . وفى (اللسان) : « وبادئ الرأى أوله وابتداؤه ، وعند أهل التحقيق من الأوائل ما أدرك قبل إنعام النظر ، يقال : فعله فى بادئ الرأى . وفى التنزيل العزيز : (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأى) قرأ أبو عمرو وحده بادئ الرأى ومعنى قراءته أى أول الرأى أى اتبعوك ابتداء الرأى حين ابتدؤا ينظرون وإذا فكروا لم يتبعوك » قال العكبرى : « بادئ هنا ظرف وجاء على فاعل كما جاء على فعيل نحو قريب وبعيد وهو مصدر مثل العافية والعاقبة والعامل فيه أربعة أوجه »

٧ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى : (كتاب المبشرين ٨٩) : « ويشفع فيمن يعترف من أهلها الأشقياء التمساء بعدل قضاء الله عليه »

قال الشيخ اليازجى (الضياء السنة (١) الصفحة (٣٢٤) :

« ويقولون رجل تميس وقوم تمساء وهو من أهل التماسة ، وكل ذلك خلاف المنقول عن العرب . والمسموع عنهم رجل تاعس وتعس بوزن كتف وقد تعس بفتح العين وكسرها[1] ، والمصدر التعس بالفتح[2] والتعس بالتحريك ، ويعدى الأول بالهمزة والثانى بالحركة[3] تقول : تعسه بالفتح ، وهو متعس ومتعوس لم يحك فيه غير ذلك »

(قلت) : كتب اللغة المعروفة المطبوعة — ماعدا الجمهرة — لم تذكر التعيس . ولم أجد هذه اللفظة إلا فى كتاب ابن دريد وفى رسالة الغفران فى بيت لأحد الجن . قالت الجمهرة : « ورجل تاعس وتعس وتعيس » وقال الجنى (أى أبو العلاء ..)

حتى إذا صارت إلى غيره عاد من الوجد بجد تعيس[4]

وإذا صحت اللفظة فاليازجى ينكرها فهو لايقولها ولا يقول جمعها ، لايقول : التمساء .

٨ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب المبشرين الصفحة (٤٤٥) : « وغير ذلك من معائب الكلام »

قال الشيخ اليازجي (الضياء ، السنة (١) الصفحة (٤٥٢)

« ويقولون فى جمع المفارة مفائر ، وصوابه مفاور بالواو كما يقال فى جمع مفازة مفاوز لأن حرف المد إذا كان أصلا لايهمز[5] ومثله قولهم معائب ومشائخ ومكائد بالهمز أيضاً وصوابهن بالياء »

قلت : قال ابن يعيش : « ألا ترى أنك لاتهمز ياء معيشة بل تتركها ياء على حالها فى الجمع نحو قولك معايش لكون الياء فيها أصلا ، متحركة فى الأصل » وقد استعمل كتاب المبشرين فى الصفحة (١٤٨) لفظة معايش صحيحة لأن مغاط القرآن فى

---

(١) قلت : فى (الاساس) : الكسر غير فصيح

(٢) كذا ، وعندى أنه تطبيع

(٣) قلت : فى (المصباح) : وتعس من باب تعب وتتعدى هذه بالحركة وبالهمزة . وفى (اللسان) قال الازهرى قال شمر : لا أعرف تعسه الله ، ولكن يقال : تعس بنفسه . وفى (التاج) إذا خاطبت بالدعاء قلت : تعست كمنع ، وإن حكيت عن غائب قلت : تعس كسمع . قال ابن سيدة وهذا من الغرابة بحيث تراه ...

(١) من قصيدة مطلعها :

مكة أقوت من بنى الدرديس فما لجنى بها من حسيس

وفيها :

إنا لسنا بعدكم فاعلموا برقع فاهتاجت بتر بئيس

برقع بالكسر اسم السماء السابعة لاينصرف (الصحاح)

(٢) قلت : شذت مصائب ومنائر . قال ابن جنى : همزة مصائب من المصائب . فى (المصباح) : الاصمعى : أرى جمعها على مصائب من كلام أهل الأمصار . وفى (اللسان) : سيبويه حمل ماهو من هذا على الغلط

العربية وجدها وهو يطالع (الكتاب) ليظهر أغلاطه — كذلك فاستبقاها كما رآها ولما جاء إلى شبيهتها فى قاعدتها همز ، ويل له ما أجهله !

٩ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب المبشرين الصفحة (٢١٥) : « إذا حانت صلاة من هذه الصلوات دعاهم إليها المؤذنون من مآذن مساجدهم إذ لا يجوز عندهم قرع النواقيس كما تفعل النصارى »

قال الشيخ اليازجى (الضياء السنة (٧) الصفحة ٥١٥) :

« إنما النواقيس جمع ناقوس وهو كما فسره صاحب القاموس خشبة كبيرة طويلة تقرع بخشبة قصيرة يقال لها الوبيل إيذاناً بوقت الصلاة ، وكل أحد يعلم أن هذا النوع هو مما لا يعرف له وجود فى جميع أوربة »

(قلت) : لو كان مترجم (مقالة فى الاسلام) وذو الذيل هو اليازجى ما قال (النواقيس) لأن اللفظة فى الأعجمية هى (Bell) وسال منشىء (المقالة) يجهل الناقوس فى الشرق ، ولا يعنى إلا الذى عرفه فى بلاده . فلن يستعمل اليازجى ما نقده ، ورأى أنه وضع فى غير مكانه

١٠ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب المبشرين الصفحة (٣٠) : « فكم من قائد جيش زحف عليهم فعاد عنهم بالفشل »

قال الشيخ اليازجى (الضياء) السنة (٥) الصفحة (٥٦٤) :

« ومثل هذا لا يتصور من الفشل لأن معناه الجبن والفزع والضعف »

(قلت) : يقصد كتاب المبشرين أنه رجع بالخيبة ، والفشل فى الأقوال العربية والمعجمات كلها : الجبن والضعف والفزع وما أشبه ذلك ، وهو فشل - بكسر السين وسكونها للتخفيف - والجمع أفشال . وفى (الأساس) : دعى إلى القتال ففشل أى جبن وذهبت قوته ، وعزم على كذا ثم فشل عنه أى نكل عنه ولم يمضه

١١ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب المبشرين الصفحة ٣٢٠) : « أفتدرى بكم من سنة قبل أن أخلق قد كتب التوراة »

قال الشيخ اليازجى فى مختصر (كتاب نار القرى فى شرح جوف الفرا) : « إن كم تختص بجواز جرها بعدها باضمار من وذلك إذا دخل عليها حرف جر نحو بكم درهم تصدقت قصداً للمشاكلة بينهما . غير أن النصب هو المختار ولا يجوز عند الجمهور إظهار من لأن الحرف الداخل على كم عوض عن التلفظ بها »

قلت : لن يقول اليازجى « ولا يجوز » ثم يجيز ، وقد قال سيبويه : « وسألته (يعنى الخليل) عن (على كم جذع بيتك مبنى) فقال القياس النصب ، وهو قول عامة الناس ، فأما الذين جروا فانهم أرادوا معنى (من) ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفاً على اللسان ، وصارت (على) عوضاً منها . ومثل ذلك : الله — بكسر الهاء وفتحها — لا أفعل ، وإذا قلت لاها[1] اللهِ لا أفعل لم يكن إلا الجر ، وذلك أنه يريد لا والله ولكنه صار (ها) عوضاً من اللفظ بالحرف الذى يجر وعاقبه . ومثل ذلك آلله لتفعلن إذا استفهمت ، أضمروا الحرف الذى يجر وحذفوا تخفيفاً على اللسان ، وصارت ألف الاستفهام بدلاً منه فى اللفظ معاقباً »

وروى ابن يعيش فى شرح (المفصل) قول (الكتاب) مؤيداً .

وقال شارح (الكافية) : فكأن الجار الداخل على كم داخل على مميزه فالجر عند الزجاج بسبب إضافة كم إلى مميزه كما فى الخبرية ، والمجوِّز قصدُ تطابق كم ومميزه جراً ، وعند النحاة هو مجرور بمن مقدرة » وقال محمد بن مالك :

وأجزَ ان تجره (من) مضمرا
إن وليت (كم) حرفَ جر مظهرا

وقد جاء مثل (الصبان) فى آخر الزمان يقول : « وقيل يجوز نحو بكم من درهم اشتريت » وقد قال قبل ذلك : « ظاهره منعُ ظهور من عند دخول حرف الجر على كم وهو المشهور لأن حرف الجر الداخل على كم عوض من اللفظ بمن المضمرة »

« الاسكندرية » (***)

---

(١) ها : هى التى للتنبيه ، قال سيبويه : قدم (ها) كما قدم قوم ها فى قولهم : ها هو ذا ، وهأنا ذا

تنبيه

فى القسم الثالث ذهب شىء من كلام أبى على الفارسى فليقرأ : فاذا خولف باعراب الأوصاف كان المقصود أكمل لأن الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كأنه أنواع من الكلام وضروب من البيان وعند الاتحاد فى الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة

تسهيل الدراسة الدينية

للأستاذ داود حمدان

بمناسبة ما أثير من جدل حول تيسير قواعد اللغة العربية يصح للانسان أن يبحث فى تسهيل الدراسات الدينية أيضاً ، فانها فى حالها الحاضر من الصعوبة والعقم بحيث تستدعى البحث وكثرة التفكير ، ولعل هذه الكلمة تفتح الباب للباحثين . والله الموفق

لا شك أن الدراسة الدينيـة فى حالها الحاضر صعبة ، وغير مؤدية إلى فائدة ، لا سيما فى تعليمها العالى ، وبالموازنة بين الماضى والحاضر يظهر الفرق العجيب

لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقوم بتبليغ الدين ، عملاً بقوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) كان الرجل يأتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على دين مما يعرف الجاهليون إذ ذاك فيمكث عنده ساعة من زمان يتلو عليه النبى فيها بعض آى القرآن الحكيم ، فيقوم الرجل من عنده وهو مسلم حسن الاسلام ، مؤمن كامل الايمان ، عالم بما أوجبه الله وما حرمه عليه(١)

واليوم يذهب المسلم المولود من أبوين مسلمين إلى أعلى معاهد العلم الدينى فيشتغل بضع عشرة سنة ، ثم يرجع إلى قومه وقد زادت الفوارق بينه وبين الدين كما زادت بينه وبين الناس

وكان الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فيتلقفون القرآن ويتدارسونه ، فيملأون الأرض علماً وحكمة ، كما يملأونها طهراً وعدلاً وصلاحاً

واليوم يتخصص أوفرهم ذكاء ، وأكثرهم اجتهاداً ، وأصبرهم على الدرس ، سنوات عديدة وقصاراه أن يحصل بعض ما علموه ، ويتحلى بحفظ بعض ما قالوه . واليوم يدرس الدارس بضع عشرة سنة ويظل العامى أكثر منه ورعاً وتقوى

بهذه الموازنة يظهر بكل وضوح أن تعليم الدين فى الماضى كان مؤدياً أجل النفع ، وأعظم الفائدة ، وأنه فى الحاضر قليل النفع والفائدة ، بل ضار أعظم الضرر

فالامَ يرجع السبب فى هذا الاختلاف بين الماضى والحاضر ؟

هـذا سؤال لم يكن أحد ليعيا بالجواب عنه إذا علم من أين كان يؤخذ الدين بالأمس ، ومن أين يؤخذ اليوم

إن المسلمين كانوا يأخذونه من القرآن ، ثم صاروا يأخذونه من غير القرآن ، وما القرآن عندهم — والحالة هذه — إلا مادة كمالية . ومهما أنكروا هذا بألسنتهم فهم ملزمون به من عملهم . ألا ترون أن طالب العلم الدينى يدرس كتب الفقه ويعرف أحكام الدين — فى زعمهم — ويدرس كتب التوحيد والعقائد قبل أن يدرس القرآن وتفسير القرآن؟ بل ربما لا يحضر دروس التفسير أصلاً ، وإن هو حضرها فلا يستطيع أن يأخذ منها حكما واحداً لأن طريقتها لا تعود الاستقلال فى الفهم ولأنه نشأ على ذلك

فى صدر الاسلام كان النبى عليه السلام لا مادة عنده للدين غير القرآن ، فمنه كان يعلم الناس ، وبتلاوته عليهم كانوا يسلمون لما يأخذهم من روعة بلاغته ، وصدق لهجته ، والشعور باعجازه . وبالقرآن كان الصحابة ومن بعدهم يبلغون الدين . وفى تلك الأوقات كان النابغون فى علم الدين أكثر من أن يحصوا ، بل تستطيع أن تقول إنه لم يكن أحد حينئذ يقلد أحداً فيه ، وإذا جهل أحد شيئاً فانما كان يرشده العالم به للدليل ولا يلقنه الحكم تلقينا

ولما فشا التأليف ، وأكثرَ المتعلمون من قراءة الكتب التى ألفها أصحابها فيما استنبطوه من الأحكام الفقهية ، والمجادلات المذهبية ، نقص معدل النبوغ ، ثم صار يزداد نقصاً كلما كثرت المؤلفات الفقهية وأقبل النـاس على دراستها . فلما كان العصر الخامس بدت تلك القولة المجرمة الأثيمة ، ألا وهى سد باب الاجتهاد ، وصرح بعض الفقهاء أن الاجتهاد بعد الأربعمائة منقطع ، وذلك لضعف ثقتهم بأنفسهم ، وسوء ظنهم بالناس . فضعفت الهمم ، وما زالت الأمة إلى الوراء حتى عصرنا هذا . فالمسلمون من العصر الخامس حتى اليوم ، بل من العصر الثالث لا يأخذون الدين إلا من كتب الفقه والكلام طبقة عن طبقة ؛ فكل طبقة تنظر فى كلام سابقتها وتشرح أو تعلق أو تؤول ، حتى وصلنا الدين بحالته الحاضرة وبعبارة صريحة : وصلنا وهو بعيد عن القرآن ألفا وأربعمائة سنة . إى والله ،

---

(١) فى الوحى المحمدى قريب من هذا المعنى

ألفا وأربعمائة سنة نحن بعيدون عن القرآن ، وإن كنا نتلوه للتبرك ، وذلك بسبب الالتواء في الدراسة . وقد صدق علينا المثل العامي : تمسك من الدين بذيله : نترك رأس النبع وهو القرآن، ونأخذ من ذلك الرشاش المتطاير منه إلى أفهام الناس . أفلا ينظر المسلمون إلى أي هوة وصلوا من جراء هذا ؟ !

كانوا عند ما لحق الرسول بالرفيق الأعلى أمة واحدة ، لا يعرفون لهم إماما إلا القرآن . وأصبحوا لا تحصى فرقهم ومذاهبهم وشيعهم . ولكل فرقة أو شيعة إمام غير القرآن . لا يقولن قائل إن السبب في بعض الاختلافات كان سياسياً . فان الاختلافات السياسية كان ينبغي أن تموت بموت سببها ، ولكن بقاء الكتب ودراستها فيما بعد ، دون دراسة القرآن الكريم بعقل مجرد عن تأثير تلك الاختلافات ، هو الذي أبقاها

وكان المسلمون لا يتركون القرآن إلى سواه ، ولا يبحثون عن حديث الرسول في قضية ما إلا إذا لم يجدوا لها نصا في كتاب الله ، كما كان يفعل أبو بكر وعمر وسائر الصحابة . فاذا اضطروا إلى حديث أخذوه بكامل التحري . وأصبحوا اليوم (ولديهم مئات الألوف من الأحاديث) يجعلونها في مرتبة القرآن ويختلفون: هل ينسخ الحديث القرآن أو يقيد مطلقه ويفصل إجماله ؟ ! وصاروا يؤولون كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليوافق كلاما رووه ، ولو حققوا لما رووه . وذهبوا إلى أبعد من هذا فأولوا القرآن ليوافق مذاهبهم ونحلهم ، وأقربهم اعتدالا أول آية التيمم لتوافق المذاهب المعروفة وعدها من المشكلات[1] ، ولم يجز لنفسه أن يؤول تلك المذاهب لتوافق القرآن . ولعل أصحاب المذاهب لو انتبهوا لمخالفة القرآن لرجعوا إليه

وكان الدين سمحا سهلا قليل التكاليف ، يستوي في فهمه البدو والحضر ، والأذكياء والبلداء ، والمتعلمون والعوام ، لكونه دينا عاما لا يختص بطبقة دون طبقة ، ولا بقبيل دون قبيل . فمن المعقول ألا يختلف في إدراك عقيدته ، ومعرفة تكاليفه أقل الناس إدراكا عن أعلاهم ذكاء ، ولكن الاختلاف إنما يكون في طرق الاستدلال . فالفيلسوف يستدل على وجود الله بفلسفته، والطبيب بما يرى من دقائق تركيب الجسم ، والحراث مثلا يستدل عليه بما يقع تحت حسه من نبات وحيوان و كيفية نشأته ونظام حياته — أقول كان الدين سهلا ولكن كتب العقائد هي التي جعلته صعباً عسير الفهم ، لأنها من الكبر والاتساع بحيث تحتاج إلى سنين لدراستها ، ومن الدقة والعمق بحيث يعيي فهمها الأذكياء والعباقرة . وكذلك الفقهاء الذين فرعوا الفروع ، وفرعوا من الفروع فروعاً (وولدوا البنات من الأمهات ، كما يقول ضارب الرمل) حتى فرضوا المستحيلات ، فهؤلاء قد طمسوا على سماحة الدين ، وجعلوه كثير التكاليف ، كثير الحشو . وأذكر مما يحضرني الآن مسألتين : قالوا : بعد أن يتوضأ المتوضىء أينشف أعضاءه أم لا ؟ وجعلوها مسألة خلافية . ومن العبث والغفلة أن يقال إن هذه المسألة تدخل في حساب الدين ، فالمقصد الطهارة وقد حصلت بالوضوء ، ولا ينظر الدين إلى ماوراء هذا . والمسألة الثانية أنهم أدخلوا في الدين ما ليس منه كمسألة الأزياء والملابس ، فألف بعضهم كتاباً في سنية العمامة . وما لبس النبي العمامة إلا لأن بيئته كانت هكذا تقتضي ، ولو نشأ في بيئة أخرى تلبس غير العمامة للبس كما يلبسون ، لأنه عليه السلام ماجاء لتغيير الأزياء ، ولكن لتغيير العقائد

بهذا الحشو وأمثاله امتلأت كتب الفقهاء ، وبهذا وأمثاله يضيع الذين يتعلمون العلوم الدينية زهرة شبابهم ، وصفوة عمرهم وقوة تفكيرهم ، حتى إذا انتهوا منه كانوا بعيدين عن الدين مراحل عديدة ، مقدارها اليوم ألف وأربعمائة سنة [1]

لقد جرى إصلاح في منهج دراسة الدين في بعض المعاهد الدينية ، وينبغي أن يجري الاصلاح أيضاً في مادة الدراسة الدينية ، وذلك يكون بأمرين : الأول : دراسة اللغة العربية بطريقة سهلة غير طريقة الكتب التي تدرس الآن . والثاني : دراسة القرآن نفسه ، وأخذ الأحكام والأخلاق والمعارف الدينية منه بقطع النظر عن المذاهب ، وطريقة ذلك كما يلي :

(١) راجع تفسير المنار ج ٥ ص ١٢٠

(١) المعقول أن العلوم تترقى ، وأن علم السابق يكون نواة في علم اللاحق ولكن هذا لا يكون في علم الدين ، لأن القرآن أعلى من مستوى كل العقول . فاذا ترك درسه لن تصل العقول إلى مثل هديه ، ومقتضى ترقي العقول أيضاً أن كل عقل لاحق يدرس القرآن نفسه فيستخرج منه نفائس عجيبة

١ — فى دور التعليم الابتدائى

من اللغة يعطى التلاميذ جملا وقطعاً من منثور الكلام البليغ بقدر ما تتسع طاقتهم لحفظه ، ومن الغلط أن يختار لهم من أقوال العصور المتأخرة ، فان القصد أن يقربوا من لغة القرآن ، وتتجنب الألفاظ الغريبة . وكل ما شا كل ألفاظ القرآن فهو مأنوس وليس بغريب . وكلما ارتقى التلاميذ زاد لهم فى المقدار الذى يحفظونه . وعند شرحه يشرح بكلمة أو كلمتين ؛ ويستطيع المعلم الحاذق أن يبين للتلاميذ موقع الكلمة من رفع أو نصب الخ باختلاف الجمل ، وبالتكرار تنطبع فى ذاكرتهم ، فيتعودون النطق الصحيح بسهولة ، وبممارستهم الكلام البليغ يتربى فيهم الذوق العربى . وبعد الثالث الابتدائى تشرح لهم الجمل شرحاً نحوياً بسيطاً ويزاد كلما ارتقوا . ومن الرابع فصاعدا تكون اللغة الفصحى لغة الدراسة فى جميع المواد ولغة التخاطب ، ويستعملون ما حفظوا من الكلام البليغ . وليس هذا غريباً بين العرب ، حتى ولا بين غيرهم ، فان الانكليزية لغة الدراسة والتعليم فى جميع مدارس الهند ، وليست أسهل من اللغة العربية . هذا من اللغة . ومن القرآن يحفظ التلاميذ أكبر قسط يمكنهم على الترتيب: من سورة الناس فصاعدا . وتختار لهم الآيات التى فيها أحكام التكاليف وتشرح لهم بايجاز . وتختار لهم آيات أخلاقية وتشرح بايجاز

٢ — فى دور التعليم الثانوى

من اللغة يعطى التلاميذ الشيء الكثير من منثور القول ومنظومه على أن يكون من أقوال العصر الأول والثانى ، ويشرح لهم شرحاً يشمل النحو والمعانى بتحليل تتحمله عقولهم ، ويزاد كلما ارتقوا . ومن القرآن يحفظون قدراً كافياً مرتباً أو مختاراً ويدرسون آيات الأحكام بتوسع ، ويقدم الألزم فالألزم ، وتؤخر مثل أحكام الطلاق واللعان إلى السن المناسبة ، ويعودون الاستنباط بأنفسهم ، ويدرسون قسطاً وافراً من آيات الآداب والأخلاق والعبر ، والآيات الكونية والاجتماعية ، ويحفظون شيئاً من الأحاديث المختارة فى الأدب والاجتماع ، وتكون لغة الدراسة والتخاطب اللغة الفصحى كما سبق

٣ — فى دور التعليم العالى

(وهذا لا يكون إلا في معاهد العلم الدينى ، لأن غيرها لا تدرس الدين عادة فى الصفوف العالية) فى هذا الدور تدرس آداب اللغة العربية بتوسع ، وأعنى الآداب نفسها ، لا تاريخها ، فان دراسة تاريخ الآداب شيء قليل الفائدة ، وتشمل دراسة الآداب دراسة الحديث الشريف على أنه نمط من أنماط الكلام البليغ . ويدرس القرآن كله بلا استثناء دراسة وافية تؤخذ منها العلوم والمعارف الاسلامية ، والبدائع اللغوية ؛ ويراعى فى هذا الدور أن يكون التدريس مجرد إرشاد لطريق الاستنباط وتطبيق القواعد . ويطالب الطلبة بالاستنباط بأنفسهم ، وبمعرفة الخطأ والصواب بعرضه على مقاييس العلم والأدب . ويدرس الحديث على أنه مادة من مواد الدين تؤخذ منها الأحكام والحكم والمواعظ، ولكن ينبغى أن تكون شروط صحة الحديث غير الشروط الحاضرة فيحذف أولا كل ما نشأ أو يظن أنه نشأ عن أسباب سياسية ، أو لتأييد فرقة ، أو بقصد الهدم كالاسرائيليات ، ثم يجعل للمعنى حظ من الاعتبار كما للرواية ، أى ليس كل ما استكمل شروط الرواية كان صحيحاً حتى يستكمل شروط صحة المعنى أيضاً . وفى هذا الدور يدرس النحو فى بعض الكتب المعتبرة المؤلفة قديماً تثبيتاً لما تلقنوه من القواعد أثناء الشرح ، وزيادة فى البحث ، وفى نهاية هذا الدور أو فى دور التخصص تدرس بعض كتب الفقه والأصول والتوحيد للاطلاع والبحث . لا لتأثر خطواتها وتقليدها

بهذا تسهل دراسة الدين وتؤتى أكلها باذن ربها ، ويلاحظ هنا أن الكلام فى دراسة الدين وأنه ليس المقصود أن تقتصر الدراسة فى المدارس على مادتى اللغة والقرآن فان مواد العلوم الأخرى لها مكانها من برامج الدراسة

ليس المجال متسعاً للتفصيل والشرح فهذه اقتراحات يمكن نقدها وتحسينها والزيادة عليها ، ولكن لا يمكن قط أن يقال : إن دراسة كتب الفقه أجدى فى الدين من دراسة القرآن

وأحب أن ألفت النظر إلى أنه ليس بيننا وبين النابغين الأولين فى علوم القرآن إلا إتقان اللغة العربية ، وأنها ليست صعبة كما يتصورون ، وأن ثلاث سنين تكفى لاتقان علومها إذا هذبت

البحث عن غـــد

للكاتب الانكليزى روم لاندو

للأستاذ على حيدر الركابى

— ٥ —

الفجر فى سورية

المجاهد

إن للسياسة أثراً بليغاً فى تفكير السوريين لا يجاريها فيه شيء، فان سورية كلها تشكو من مرض واحد هو شدة الحيوية السياسية . وهى الحيوية التى ما زالت فى الشرق الأدنى مطلقة لا تقيدها عوامل ضبط النفس أو الشعور بالمسئولية المدنيـة (Civic Conxionsness)

إنه لمن الصعب جداً معرفة الفروق الرئيسية التى تفصل الحزب الحاكم عن المعارضين الذين لا يسمح لهم بأن يمثلوا فى مجلس النواب . ومع ذلك فان الطموح الشخصى وميل البعض إلى الشعوذة قد حملا كلا الفريقين على الاعتقاد بأن الفوارق بينهما عظيمة كما أن كل جهة راحت تتهم الأخرى بسوء الائتمان وتزعم أنها هى الممثلة الوحيدة للوطنية الحقة — وبهذا تقيم الأحزاب البرهان على أنها تحافظ على التقاليد الشرقية تمام المحافظة

ومن أعظم ما أدهشني فى سورية الرغبة الشديدة عند رجال السياسة فى الاعلان عن آرائهم . ومع أن البعض نبهنى إلى أنى لن أحظى من السوريين إلا بتصريحات عامة وغامضة فقد وجدت السياسيين يندفعون فى الحديث بعد مضى خمس دقائق أو عشر على بدء اجتماعى بهم ويصرحون بما يزيد على مطلوبى، فكان علمهم بأنى رجل محايد لا أهتم بالسياسة كثيراً يدفعهم إلى الاعتراف أو الشرح أو الاتهام . وعلى كل حال فقد كان لهذه الاعترافات عندى أهمية كبرى من الناحية النفسية إذ أنها أطلعتنى على بعض الأمور التى سيكون لها أثر فعال فى حياة العرب السياسية فى المستقبل وإن كانت هذه الأمور نفسها غير واضحة تماماً الآن

وقد وصلت الصراحة ببعض السياسيين إلى حد أنهم بينوا لى الوسائل التى يودون تسخيرها للنيل من سمعة الحزب المستولى على الحكم . وبالرغم من أن تهديداتهم كانت فارغة وأنها ربما لن تتجاوز حد الكلام إلا أنها كانت دليلا قاطعاً على فقدان روح المسئولية فى الأسلوب السياسى المتبع . فالمعارضون يعتبرون القابضين على زمام الحكم فى عداد الخونة، وهؤلاء يعتقدون أن الواجب يدعوهم إلى اتخاذ أى تدبير كان ماداموا يعتقدون فيه الصلاح . وعلى هذا فان كلا الفريقين يسير على غير بصيرة فى طريق ينهى عنه العقل السليم ويجعل ادعاء كل منهما الاخلاص فى العمل على نفع الأمة وزعمه أنه مستعد للموت فى سبيلها كلاماً بلا معنى

لقد ظهر لى أثر العاطفة المتطرفة فى السياسة بجلاء لما زرت أحد أعداء الحكومة وكان من قواد الثورة على الفرنسيين عام ١٩٢٥ . ولو لم يؤكد لى أشخاص مختلفون بأنه كان يقود الحملة تلو الأخرى ضد الفرنسيين لما صدقت قط أن هذا الرجل كان فى يوم من الأيام مصدراً عظيما لقلق القيادة العسكرية الفرنسية فقد استقبلنى عند مازرته فى ساعة متأخرة من الليل بجلباب من الحرير الأبيض الفاخر الموشى بخيوط حمراء وذهبية وكان يقطن (شقة) حديثة فخمة . وهو خريج جامعة ألمانية مشهورة ولكنه يتكلم الانكليزية بسهولة وعذوبة تتناسب مع سكناه فى منزل جميل وارتدائه الحرير الأبيض لاستقبال الضيوف الأجانب ذكرت لمضيفى بعض رجال الحكومة فانفجر واتهمهم بالخيانة

طرق تعليمها كما قال الأستاذ الامام محمد عبده

ولا أحدثكم بعد عن الفوائد التى نجنيها من إتقان اللغة العربية ودراسة القرآن ، فان الهداية والتقوى تكون ملازمة للعلم بأحكام الدين الملازمة ذكرها فى آية واحدة أو آيتين متجاورتين ، ولما يغمرنا من الشعور ببلاغة القرآن وسلطانه على النفوس ، ثمرة ذوقنا اللغوى الذى نكتسبه من ممارسة اللغة . أما الفوارق المذهبية والشيع المختلفة فانه يقضى عليها باذن الله ، ويصبح المسلمون — كما كانوا — أمة واحدة يتعاونون على البر والتقوى . والله الموفق

«فلسطين» داود حمدان

وسوء الائتمان، وعند ما سألته عن الوسيلة الناجعة لإزالة الفساد المالى من حياة سورية السياسية أجاب على الفور وبلا تردد :

— « يجب أن نقتل هذه الفئة المسيئة أولا »

فأخذتنى الدهشة وسألته :

— « ومن تقصد بذلك » ؟

— « الذين بيدهم الحكم فهم لا يعملون إلا لتحقيق مصالحهم الخاصة »

— « ولكن ، ليس من المعقول أن ترغب فى قتلهم لمجرد اعتقادك أنهم غير نزيهين »

— « القتل هو الطريقة الوحيدة لتعليمهم النزاهة فى الحكم. يجب أن نقتلهم ، وسنقتلهم عند ما يحل الميعاد »

— « وهل تعتقد حقاً أن القتل ما زال فى هذا العصر الحديث أحسن وسيلة للتهذيب السياسى » ؟

— « نعم ، ففى الشرق الأدنى لم يزل القتل أحسن واسطة. إنه ليس من المؤكد أن ننفذ القتل فى هذه السنة أو التى تليها ولكنك عند ما تعود إلى سورية بعد بضعة أعوام ستشهد بعض التبدلات الخطيرة، وربما وجدت بعض الأشخاص الذين تعرفت إليهم هذه المرة قد انتقلوا إلى غير هذا العالم »

لقد تفوه بهذه العبارات القاسية بكل هدوء، مثله فى ذلك مثل البط البرى الذى لا تؤثر المياه فى أجنحته عند ما يغطس فى البحيرة . وقد اتضح لى أنه لا يعترف بأية صلة بين الدعوة التى أخذ يبشر بها وبين ما يترتب على تطبيق وسائلها من عواقب مخيفة، فهما فى نظره أمران لا ارتباط بينهما .

مما لا شك فيه أن لشخصية هذا الرجل جاذبية قوية يعترف بها أعداؤه أنفسهم . وكانت حقيقته تخفى على الناس بفضل الجاذبية وبفضل طريقته فى الكلام عن أهم معتقداته بلهجة عادية كأنه يشرح أمراً بسيطاً . لقد وخط المشيب رأسه ، ومع ذلك فقد كانت حركاته كحركة الفتيان تدل على قوة العضل ومرونته . إنى صدقت القصص التى رواها لى عن عمله مع لورنس إذ كانا يشتركان فى نسف القُطُر العثمانية والتمتع بنشوة الحرب والقتل

يتحلى هذا الرجل بكل الصفات الخيالية التى تجعل فى الثائر العربي فتنة للزائر الأجنبى ، وخصوصاً إذا كان هذا الزائر جاهلاً بما هو مخبوء وراء ذلك السحر الخارجي . إنى لأذكر فى هذه المناسبة العبارة التى قالها رجل بريطانى عقب زيارته لمفتى فلسطين: « يا لها من عيون بريئة ! يا له من وجه صبوح جميل ! » لم تكن عيون مضيفى فى دمشق بريئة ولكنه كان يتغنى بالآداب الاجتماعية التى لقنته إياها المدنية الغربية ، ومع ذلك فان تمدينه الظاهر الذى يتنافى مع ما يخفيه من غرائز أولية ربما كان عائقاً يؤخر إصلاح الشرق أكثر من الوطنية المتطرفة المصحوبة بالنية الحسنة التى يتصف بها فخرى البارودى . ومع أن هذا المضيف قد استنشق الهواء فى جامعات أوربية مختلفة وكان يتنقل بين أثاثه الفخم بكل ثقة واطمئنان فهو لم يتعلم بعد أن القتل لم يعد هو الوسيلة الوحيدة لتعليم السياسيين الأخلاق . إن أمثال هذا الرجل ليعرقلون المساعى المخلصة التى يبذلها المستنيرون من العرب

لقد أدركت عند ختام زيارتى دمشق السبب الذى جعل سورية تخرج هذا العدد الكبير من قادة السياسة فى البلاد العربية، كما أدركت الداعى لاعتبارها ركناً من أركان الحركة العربية الحديثة : إن فى العقل السورى لفطنة ، وإن فى أكثر رجال السياسة فى سورية لمضاء فى العزيمة لم ألحظه فى مصر؛ وخيل إلى فى فلسطين أنه موقت يزول بزوال الظروف الحاضرة . إن جميع الصفات التى تميز الخلق العربى بارزة في شخصية السوريين بكل وضوح وجلاء، ومما لا شك فيه أنهم سيلعبون دوراً رئيسيًّا فى حياة الشرق الأدنى المستقبلة

إن طبيعة السوريين والظروف التى أحاطت بهم جعلت منهم شعباً ثائراً ، ولهذا كان منتظراً أن يعجز الفرنسيون عن إدارة سورية فى جو هادئ . غير أنه لا يمكن اعتبار فرنسا وحدها مسؤولة عن تمرد السوريين وما أنتجه من حركات منذ عام ١٩٢٠، كما أنه ليس من المؤكد أن تنتهى المنازعات الداخلية بعد نيل سورية استقلالها التام عام ١٩٣٩ إذ أن السوريين فى أشد الحاجة إلى كثير من التهذيب السياسى والاعتياد على ضبط النفس ليصونوا البلاد من التفكك الداخلى . إن أمثال الدكتور الكيالى يجب أن يجدوا ويجتهدوا لكى يجعلوا الصداقة الأبدية مع فرنسا التى يدعو إليها المسيو إده في لبنان بأعلى صوته غير ضرورية لسورية

« يتبع »

علي حيدر الركابي

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٤١ –

رسائل القراء اليه :

المحامي الشاعر الأستاذ ابراهيم . . . شاب له خلق ودين ، وفيه اعتزاز بالعربيـة والاسلام ؛ فهو من ذلك يحب الرافعي وينتصر له ، ويتتبع بشوق وشغف كل ما ينشر من كتب ومقالات . ولـكنه مع ذلك يحب العقاد وينتصر له ، ويراه صاحب مذهب في الشعر ورأى في الأدب ، جديراً بأن يتأثر خطاه ويسير على نهجه. وليس عجيبا — فيما أظن — أن يجتمع الرأى لأديب من الأدباء على محبة الرافعي والعقاد في وقت معاً ، كما أنه ليس عجيبا أن يتعادى الرافعي والعقاد أو يتصافيـا ما دام لـكل منهما في الأدب طريق ومذهب ؛ ولن يمنع ما بينهما من العداوة ، أو من الصفاء ، أن يكون لـكل منهما قراؤه المعجبون به ، أو يكون لهما قراء مشتركون يُعجبون بما ينشىء كل منهما في فنون الأدب ؛ وإنما العجيب أن يبلغ إعجاب القارىء بالـكاتب الذى يـؤثره إلى درجة التعصب ؛ فلا يعتبر سواه ، ولا يعترف لغيره أن يكون له مكان بين أهل الأدب ...

على أن شأن صاحبنا المحـامي الشاعر الأستاذ ابراهيم مع الرافعي والعقاد يبعث على أشد العجب وأبلغ الدهشة ... إنه يحب الرافعي ويـؤثره ، ويعجب به إعجابا يبلغ درجة التعصب ؛ وإنه يحب العقاد كذلك ويعجب به ويتعصب له ... لـكل منهما مكانه من نفسه ، مكانٌ لا يتسع إلا له ، ولا يزاحمه فيه خصمه ؛ ولـكنه يحبهما معاً ، ويعجب بهما معاً ، ويتعصب لهما معاً !

رأيان يتواثبان ، وشخصيتان تتناحران ، وإسراف في التعصب لـكل منهما على صاحبه ؛ فأين يجد نفسه بين صاحبَـيْه اللذين يؤثر كلاً منهما بالحب والاعجاب والاستاذية ؟

صورة طريفة وقفتُ عليها فيما وقفتُ بين رسائل الرافعي !

هذه رسالة من الأستاذ ابراهيم إلى الرافعي يقول فيها (١) :

« سيدى ، إننى أحبك ، وأعجب بك ، وأتعصب لك ؛ ولكن موقفك من العقاد ياسيدى ... ليت شعرى لماذا تتخاصمان ؟.... لقد كنت على حق ... ولـكن العقاد على حق ... هل تأذن لى أن أكون رسول السلام بينكما ؟ »

ثم لا تمضى أيام حتى يعود فيكتب إلى الرافعي رسالته الثانية :

« معذرة ... إنك لتتجني على العقاد تجنيا ظالمـا ، فما لك وجه من الحق فى عدائه والحملة عليه . لقد عقمت العربية فلم تنجب غير العقاد ... وإنك أنت ... إنك كبير في نفسى، كبير جداً، وإنى لأقلب تاريخ العربية بين يدىّ فلا أجد غير الرافعي ... أنت ... والعقاد ... أين ترى يكون اللقاء ؟ »

وعلى هذا المثال قرأت لصاحبنا المحامي الشاعر بضع رسائل بين ما خلف الرافعي من أوراق، تملأ النفس عجبا ودهشة . وآخر ما وصل إلى الرافعي من رسائله، رسالتان، كتب إحداهما في المساء، وكتب الثانية فى صباح اليوم التالى ؛ ولولاخط الـكاتب ، ونوع الورق ، وخاتم البريد ، لما حسبتهما إلا رسالتين من شخصين لو أنهما التقيا فى الطريق لتضاربا بالأكف ... !

على أن الرافعي مع ذلك كان يرد على رسائله ! وودت لوينشر صاحبنا بعض رسائل الرافعي إليه !

***

والآنسة الأديبة ف . ز. معلمة في إحدى مدارس الحكومة كان أبوها زميلا للرافعي في محكمة طنطا ، وكان بينهما صلة من الود ، فلما مات لم تنس ابنته صديق أبيها ، فكانت تستعينه فى بعض شؤونها ، ومن ثمة نشأت بينهما مودة ، فكانت تراسله ويراسلها ، ومن رسائلها إليه كان له علم جديدفى شئون وشئون .

صحبته إلى زيارتها مرة فى ليلة من ليالى الشتاء ، مع الصديقين كامل حبيب وسعيد الرافعي ؛ فلقيناها مع بعض صديقاتها ، وكانت جلسة طالت ساعات ، أعتقد أن الرافعي قد أفاد منها بعض معانيه فى قصة « القلب المسكين ! »

***

(١) ليست الرسائل تحت يدى فى اللحظة التى أكتب فيها هذا الفصل، ولـكن ما أحكيه بعد هو ترجمتها فى نفسى كما قرأتها منذ قريب .

... وقد أنشأت هذه الرسائل بين بعض قرائه وبينه صلات عجيبة من الود؛ فهو منهم أب وصديق ومعلم ومشير؛ وجلس على «كرسى الاعتراف» فترة غير قصيرة من حياته، تفتحت فيها عيناه على كثير من حقائق الحياة لايبلغ أن يصل إليها من رحل وطوف. وكان له فى كل دار أذن، وعلى كل باب رقيب عتيد! ولست بمستطيع أن أفسر سرّ هذه الثقة العجيبة التى ظفر بها الرافعى من قرائه؛ ولكنى أستطيع أن أجزم بأنه كان أهلا لهذه الثقة؛ فما أعرف أنه باح بسرّ أحد فسماه أو عرّف به، وما أطلع على رسائل قرائه أحداً غيرى إلا قليلا من الرسائل كان لايرى بأساً من إطلاع نفر قليل من أصحابه عليها لغرض مما يستجرّه إليه بعض الحديث فى موضوعها؛ بل إن كثيراً من هذه الرسائل قد أخفاه عنى – وما كان بينى وبينه حجاب أو سرّ – فما عرفت خبرها إلا بعد موته. ويستطيع أصحاب هذه الرسائل أن يطمئنوا إلىّ؛ فستظل أسرارهم – فى يدى – مصونة عن عيون الفضوليين، فلن أتناول الحديث عنها إلا من حيث يدعونى الواجب لجلاء بعض الحقائق فى هذا التاريخ.

وكان له مراسلون دائمون.. يجدون الكتابة إليه جزءاً من نظام حياتهم، فلا تنقطع رسائلهم عنه، ولا يخفى عليه شىء من تطوّرات حياتهم، وقد أكسبهم طول العهد بالكتابة إليه شيئاً من الأنس والاطمئنان إليه كما يطمئنون إلى صديق عرفوه وجرّبوه وعايشوه طائفةً من حياتهم؛ وإن القارىء ليلمح فى هذا النوع من الرسائل الدّورية التى يبعث بها إليه هؤلاء الأصدقاء الغرباء، مقدار ما أثر الرافعى فى حياتهم منذ بدأتْ صلتهم به، فتطورت بهم الحياة تطورات عجيبة؛ وأدّى الرافعى إليهم دَينه وأثر فيهم بمقدار ما كان لهم من الأثر فى أدبه وفى حياته الاجتماعية. وإنى لأضرب مثلا لواحدة من هؤلاء الأصدقاء:

فتاة من أسرة كريمة فى دمشق، نشأت فى بيت عز وغنى وجاه، وهى كبرى ثلاث نشأن نشأة يفاخرن بها الأتراب؛ ثم تقلبت بهن الحياة فاذا هن بعد الغنى والجاه ناسٌ من الناس.. واضطرت الكبرى أن تخرج إلى الميدان عاملة ناصبة لتعول أسرتها، وكان لها من ثقافتها وتربيتها مُعينٌ ساعدها دون أختيها فى ميدان الجهاد؛ وعلى أنها كانت أجمل الثلاث وأولاهن بالاستقرار فى بيت الزوج الكريم فقد سبقتها أختاها إلى الرفاء والبنين والبنات وظلّتْ هى.. وما كان ذلك لعيب فيها ولكنه سرٌّ لم يلبث أن انكشف لعينيها: لقد كانت هى وحدها ومن دون أختيها التى تستطيع أن تعول أسرتها لأنها عاملة...

وتألمتْ حين عرفت السرّ ولكنها كتمت آلامها وظلت «صابرة»، ومضت الأيام متتابعة والأمانىّ تخلف موعدها؛ وتحركت فيها غريزة الأمومة ولكنها قمعتها بإرادة وعنف ومضت تصارع الطبيعة وتتحدى القدر بعزيمة لاتلين؛ ولكنها لم تلبث أن أحسّت بوادر الهزيمة بعد طول الكفاح فشرعت قلمها العذب وكتبت رسالتها الأولى إلى الرافعى بامضاء «الصابرة»

وقرأ الرافعى رسالتها ثم قص علىّ خبرها وتندّت عيناه بالدموع: يالها من فتاة باسلة!

وأجابها الرافعى على رسالتها بتذييل صغير فى حاشية إحدى مقالاته فى الرسالة.. وعادت تكتب إليه وعاد يجيبها وتوالت رسائلها ورسائله وقد كتم اسمها وعنوانها عن كل أحد – وكانت كتبته إليه فى ورقة منفصلة فى إحدى رسائلها لتمزقه وحده إن عناه أن يحتفظ برسائلها – وكان لها الرافعى كما أرادت: أباً وصديقاً ومرشداً ومشيراً؛ ولم يأبَ عليها فى بعض رسائله أن يتبسط فى الحديث إليها عن قصة «القلب المسكين» لعلها تجد فيما يكتب إليها من شئونه عزاء وتسلية.. وتمزّقتْ المسكينة غن شىء بشىء، وثاب إليها الاطمئنان والشعور بالرضا. وبدا فى رسائلها لون جديد لم يكن فى رسالتها الأولى. وأخذت تكتب إليه عن كل شىء تحس به أو تراه حولها، وتستشيره فيما جلّ وماهان من شئونها، فى سفرها، وفى إقامتها، وفى رياضتها، وفى عملها، وفى يقظتها، وفى أحلامها.. فى كل شىء كانت تكتب إليه، سائلة ومجيبة، ومخبرة ومستشيرة، حتى فى صِلاتها مع صديقاتها وأصدقائها، وفى الخطّاب الذين يطرقون بابها يطلبون يدها.. ولم يكن يضنّ عليها بشىء من الرأى أو المشورة..

وكان للصابرة جزاء ما صبرت، وتحققت أمانيها على أكمل ما تتحقق أمانى إنسان، وجاءها العروس الذى لم تكن أحلامها

تتطاول إليه فى منامها ، ويرق فى إصبعها خاتم الخطبة ، فانبهرت منه عيون ! لا أريد أن أذكر من صفات خطيبها حتى لا أعرّف بها وبه ، وليس من حتى أن أكشف ما تريد هى أن يظلّ مستوراً ... لو قلت إن خطيبها كان وزيراً لما بعدْتُ !

واستمرت تكتب للرافعى والرافعى يجيبها ... حتى رسائل خطيبها إليها كانت تبعث بها إلى الرافعى ليشير عليها كيف تجيب، وحتى برنامجها قبل الزفاف وبعده كان بمشورة الرافعى ورأيه ...

وجاءته آخر رسالة منها مؤرخة فى ٣/٤/١٩٣٧ (نعى الرافعى فى ١٠/٥/١٩٣٧) تقول فيها :

« الصديق الكريم ...

« ما أحلى دعوتك يا صديقى وما كان أشدها تأثيراً على نفسى ! لقد شعرت وأنا أقرؤها بسرور عميق ، وتركز فى ذهنى أن هذه الدعوة مقبولة ... ما أسعدنى إذا صرت فى المستقبل أما

« أعتقد أنك تعرف تماماً أن حنينى للزواج فيما مضى وتمردى وثورتى على هذه الحياة ، لم تكن إلا لأنى رأيته وسيلة للحصول على الطفل ؛ فقد تنبهت فىّ غريزة الأمومة بشكل هائل ؛ تصور يا أستاذى ، صرت أكره الأطفال لأنى ليس لى بينهم ولد ؛ وكنت إذ أرى أمًّا تعانق طفلها وتضمه إلى صدرها أحس بألم مرير يحز بقلبي ويكاد يقطعه . وكثيراً ما كنت أتشاغل وأشيح بوجهى حتى لا تقع عينى على هذا المنظر . لست حسودة والله ، ولكن شدة إحساسى كانت تجعلنى بهذا الوضع ... أما الآن فأنا مسرورة لأقصى حدود السرور ، وأتمنى لو أنثر الخير والسعادة على الجميع .... .

« ... والله يعلم أن ليس لى أى غاية مادية من وراء هذا الزواج ، وليس قصدى منه إلا الحماية والستر ، لأنى مللت ومرض قلبي من فضول الناس ... »

وكانت على نية زيارة مصر لتزور الرافعى مع زوجها ، اعترافاً بحقه عليها ، ولكن القدر لم يمهله حتى يحين الموعد ، وحان أجله قبل أن ينظر بعينيه الفتاة التى تبناها على بعد الدار وشغلته أحزانها بضع سنين ، فلما ابتسم لها القدر وتحققت أحلامها ناداه أجله وما شاركها ابتسامة الفرح وتهاني المسرة ... !

تقول له فى رسالتها المؤرخة ١٥/١/١٩٣٧ :

« الصديق الكريم ...

« ... ولماذا أخشى هذه المقابلة يا أستاذ ؟ وهل أنت مخيف لهذه الدرجة ... ! على كل حال إذا وجدت ما يرعبنى فسأختبئ وراء (زوجى) ولا بد أنه يحسن الدفاع عنى . لا ، لا ، سألبس درعاً متينة تقينى (شرّ) هذه المغناطيسية القوية ، ولكنى أخاف يا أستاذى أن يكون الحديد أكثر انجذاباً ، وأكون حينئذ أسأت من حيث أردت الاحسان ... صحيح أننى معجبة ، ولا أزال ، وسأبقى دائماً ، ولكن ألا ترى أن الاعجاب و ... قد يتفقان أحياناً وقد يختلفان ؟ ثم أليس ! ... معان كثيرة وأساليب عديدة ... ؟

« تريد رأيى فى صاحب القلب المسكين ؟ أنت تعرفه جيداً فلماذا تريد إحراجى ... ؟

« الجمال ليس مدار بحثنا ، وليس له أهمية قل أو كثر ، ومع ذلك فصاحب القلب المسكين يتمتع بقسط وافر منه . إسمع ، سأبدى رأيى . لا لا ، ما بدّى أقول ، أستحى ... ! »

وكانت تعرف من أمره مع (فلانة) ما قص عليها فى رسائله وفى رسائلها حديث كثير عنها ، وقد زارتها مرة عن أمره لتنبئه بخبرها ...

وأعتقد أن فى رسائله إليها ما يكشف بعض الغموض فى قصة الرافعى و (فلانة) ويكون فيه برهان إلى براهين لدينا ؛ فحبذا أن تتفضل السيدة الكريمة بالنزول عن حقها فى هذه الرسائل فتهديها إلينا لتتم لنا بهذه الحلقة المفقودة سلسلة التاريخ !

إنها أديبة وعالمة ، وإنها بذلك لتعرف حق التاريخ وحق الأدب عليها فى هذه الرسائل ، ولها علينا ما تشترط فنُوفيه ، فلعل صوتى أن يبلغ إليها فى مأمنها . ضمن الله لها سعادتها وحقق لها ما بقى !

* * *

هذه قصة فتاة يجد القارىء بين أولها وآخرها أشتاتاً من تاريخ الرافعى ؛ وفيها مثال يبين معنى ما سميته (النقلة الاجتماعية) فى حياة الرافعى بما كان بينه وبين قرائه من صلة الرسائل . على أن هذه القصة بخصوصها كان لها من عناية الرافعى حظ أىُّ حظ . وقد كان على أن يكتب - بما اجتمع له من فصول هذه القصة -

الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة السير « هيو والبول »

للأستاذ أحمد فتحي

– ١ –

تنقل إلى القراء فى هذا المقال وما يعقبه سلسلة فصول تنشرها إحدى الصحف الأدبية الكبرى فى لندن ، على أسابيع ، متضمنة جواب استفتاء وجهته إلى تسعة من كبار القصصيين الانجليز ، راجين أن ينتفع شبابنا من عشاق القصة وكتابها بهذه الفصول المترجمة بكل أمانة وإتقان

فى أوائل السنة القادمة : أى بعد بضعة أسابيع ، أرجو أن يُتاح لى الاحتفال بانقضاء ثلاثين سنة على ظهور قصتى الأولى

وإن يكن قد مضى على هذا الحادث الهامّ فى تاريخ حياتى كلُّ هذا الزمن الطويل الذى يجعل من العسير أن أستدعى ذكرياته على وجه التحقيق ، فاننى أستطيع أن أذكر كلَّ شيء بغاية الوضوح !

وحين يسألنى الشبان ، كما يفعلون كثيراً ، عن طريقة لفت الجمهور إلى قصصهم الأولى ، وعما صنعت أنا نفسى فى مثل ذلك ، يعود بى خيالى طائراً إلى الوراء ، حتى ليُخَيَّلُ إلى أنه الأمس القريب ، حين عدت إلى بيتى فى « رشلسى » ووجدت ما سيجده القراء مفصَّلاً فى هذا المقال ...

***

من المحقق أن القصة الأولى التى أخرجتها لى المطبعة لم تكن أوّلَ أعمالى القصصية . فلقد بدأتُ أعالج كتابة القصة منذ طفولتى المبكرة . ولكننى لم أضع قصتى الناضجة الأولى إلا حين كنتُ فى « ليفربول » ، بعد أن فرغتُ من دراستى فى « كيمبردج »

ولقد كان سفرى إلى « ليفربول » بسبب أن أبى كان يحبُّ لى أن أكون قسيساً ! وأن أتنكّر « لادّعائى » الكتابة ! ولهذا التحقتُ باحدى البعثات الدينية لرجال البحرية ، وامتطيتُ ظهر السفن لأداء واجبى كرجل من رجال الدين . واتصلت بكثير من النوتيّـة الرحين فى أماسى الآحاد السعيدة . غير أننى لم أصادف نجاحاً يُذكر ! بسبب ما كنت أحسُّـه من اندماجى مع مشاعر فتيان البحار ، وبسبب أننى لم أكن سعيداً أبداً لايمانى بأنى سأكون « قسّيساً » فاشلاً ، مما بعث فى نفسى مضاضة وحزناً !

ولقد عاونتنى الأمسية التى كنت أقضيها فى بيتى على كتابة سبعة فصول من قصتى الأولى ، وكان اسمها « الدير » ، وقد ثبت عندى أنها كانت بشيراً بأخرى كتبتها بعد ذلك بأمد اسمها « الكاتدرائية » ، وبعد هـذه الفصـول السبعة ازدحمت فى ذهنى شخصيات كثيرة من أبطال قصـة « الدير » وأخذت تختلط وتختلط حتى فقدت قيمتها ومميزاتها . ولقد علّمنى ذلك شيئاً . والحق أن الفصـل الأول من هذه القصة قد احتفظ به ذهنى حتى جعلت منه « الفصل الأول » فى قصة أخرى كتبتها بعد ذلك باسم « الفضولى » !

ولـما أدرك أبى أننى لا يمكن أن أكون قسيساً ، ظن أننى قد أصلح لأن أكون مدرساً ! ومنْ ثَمّ وجهنى إلى ألمانيا وفرنسا لأتعلم لغة كلٍّ من البلدين العظيمين . ولـكننى لم أتعلم لغة هذه ولاتلك ، وإنما كتبت قصة طويلة كاملة اسمها « تروى هانتون » !

***

مقالة بعنوان « الصابرة » جمع لها فيما جمع من نثار الأفكار قدراً غيرقليل ، وما أخّـره عن كتابتها إلى أن وافاه الأجل إلا انتظار الخاتمة فيما أظن ، وإلا شدة احتفاله بهذا الموضوع . وهكذا نجد أن شدة احتفال الرافعى بموضوع ما يكون سبباً فى تعويقه عن كتابته أو عن تمامه :

كان يحتفل بكتابة « أسرار الاعجاز » فلم يتمه ، وبمقالتى « الزبال الفيلسوف » و « الصابرة » فلم يكتبهما ؛ ولكن التاريخ لم ينس له .

شبرا محمد سعيد العريان

***

ظن بعض أصدقاء الآنسة الاديبة أمينة . ش أننا نعنيها بقولنا فى الجزء السابق من هذه المقالات : « إن فتاة أديبة من أسيوط كتبت إلى الرافعى تشكو اليه أن أباها يعضلها ويذود الخطاب عن بابه حرصاً على بعض التقاليد »

فنعتذر للآنسة الأديبة من سوء ظن أصدقائها بما كتبنا ، ونؤكد لهؤلاء الأصدقاء أنها غير المعنية منا بهذا القول

ليس فى وسع الألفاظ أن تعبر عن كيفية انكبابى على الكتابة ... وبعد أن فرغتُ من هذه القصة كنت شديد الايمان بأنها من روائع الفن القصصى ! وهذا ما لا أعتقده الآن فى شىء من كتبى ! فأرسلت بها إلى دار « آرثر بنسون » للنشر ، فقد كان أحد أصحابها معى فى « كيمبردج » ولقد تلقيت منه فى « كيمبرلند » كتباً عدة عن هذه القصة ، يقول فى أحدها : « إني لأخشى أن تكون قصتك رديئة ! ولكن هنالك شيئاً واحداً أعتقده تماماً : ذلك أن ليست لك أية مقدرة على الابتكار. قد تصبح ناقداً يوماً من الأيام ؛ ولكن النقد الأدبى لن يكفل لك أكثر من حياة بئيسة ! »

ولقد بلغ من ثقتى بالرجل أننى أحرقت قصتى هذه . على أننى انتفعت كثيراً من صورها — فيما بعد — فى قصة أخرى سميتها « الصبر » ...

والتحقت بعمل جديد ، مدرساً فى كلية مدينة « إپسم » ولقد توجهتُ إليها وحيداً ، فقد كانت على مقربة من « لندن » وفيها كنت أرجو أن أبدأ حياتى الأدبية

والحق أننى إلى تلك اللحظة لم أتلق كلة تشجيع واحدة لأعمالى الأدبية من أى إنسان ! . وفى « إپسم » كتبت قصتى الأولى التى أخرجتها المطبعة للناس باسمى . وقد اخترت لها اسم « الحصان الخشبى » وكنت قد أظهرت على نصفها أستاذاً كانت تلوح عليه أمارات الذكاء ؛ ولكنه ردّ علىّ أوراقها مع قوله : « لست يا « والبول » قصصيًّا على أى حال ...! »

ورغم هذا فهما بلغ من قلة ثقة الناس بى ؛ فلقد كنت وطيد الثقة بنفسى ! ولقد بدا لى عجيباً جداً أن يكونوا جميعاً بهذا العمى ! ولقد أصبحت الآن ، بعد هذه السنين الطويلة ، أعجب لما كان لى من ثقة بالنفس لم يكن يشجع عليها شىء !

واعترض طريق حياتى رجل بادن يقال له « مامّى » أبجّل الآن وأحَيِّي روحه المرح لأنه كان أول من تفضل علىّ بالتقدير . ومع أن تقديره ذاك بدا لى فى ذلك الحين طبيعيًّا ، بل حقًّا من حقوقي ، فانى الآن لأعجب لهذا التقدير من الرجل ؛ فى أي تربة نَبَت ؟!

كان « مامّى » ضخم الجسم شاحباً غائض دم الوجه . وكان يشرك « كرتس براون » فى وكالة أعمال أدبية . وقد أبدى لى رغبته فى استخدامى لعمل خاص بتلك الوكالة الأدبية على أن يوظف لى جنيهات قليلة كلّ أسبوع . وبهذا الروح المرح قذفت بعمل التدريس الذى كنت أمقته . واكتريت حجرة أرضية صغيرة فى « شلسى » أجرها الأسبوعى ريال واحد ! وهكذا بدأتْ حياتى الأدبية . .

كانت فكرة « مامّى » أن أضع كتاباً يبحث فى طرق توجيه الناشئة . غير أنه لم يكن عنده ، ولا عندى ، رأى ما فى الموضوع ! . غير أن الرجل ظلّ يدفع لى المال الذى وعد به عاماً كاملاً . وهو شديد الثقة بى ؛ وأخشى ألا أكون قد صنعت شيئاً يحقق تلك الثقة العمياء ! !

أكملت قصة « الحصان الخشبى » وكان علىّ بعد ذلك أن أبحث عن ناشر . . وإنى لأذكر كيف كتبتُ أسماء كافة الناشرين فى « بريطانيا العظمى » على رقعة طويلة من الورق . وكنت أظن حينذاك أننى سأبعث بالكتاب إلى كل هؤلاء الناشرين تباعاً ، بعد أن أنتزع عنه اسمى وأضع مكانه اسماً مستعاراً هو « م . س » لأننى كنت قد قرأت الكثير عن العبقريات المبتدئة ، وعلمت أن العبقرى الناشىء لابد أن تُردّ عليه قصته التى تحمل اسمه المستعار — بدلا من اسمه المجهول — مرات كثيرة ، قبل أن يحين يوم حظه السعيد ! وكان أول ناشر وقع عليه اختيارى هو « سمث إلدر » . . لأنه كان قد نشر أعمالاً ناجحة كثيرة . وكان يخيل إلي أن كتابى يجب أن تظل آمالى فيه معلقة بهذا الناشر بضعة أسابيع . . !

ولقد كنت فى تلك الأيام سعيداً إلى غير حد ، إذ كان يسيراً جداً أن أعيش بمائة وخمسين جنيهاً فى العام . كنت طليقاً ، وكان لى أصدقاء فى لندن ؛ وإن لم يكونوا بكثرة أصدقاء واحد من رجال الأدب بعد . وإنى لأذكر كيف كان يروقنى أن أروض بالسير فى « طريق الملك فى شلسى » وكيف كنت أقول لنفسى حين أبصر السابلة : « سيأتى يوم يقف فيه هؤلاء الناس وسط

طريقهم ويشيرون إليّ وهم يقولون « هذا هو والبول يمشي هناك ! »

وكان إلى جانب النهر مطعم كنت أستمرىء فيه وجبات طعامي، وكان الفنانون يجيئون فيحتلون منضدة متوسطة، وهم يضجون في مرح. ولقد كنت أشعر بأن جوهم يحتضنني أيضاً. وكثيراً ما كنت أغشي مرقصاً أو داراً للتمثيل، كلما كان ذلك في طاقة نقودي. ولم يكن لي من الرغبات ولا المخاوف شيء في الحياة !!

وعدت إلى غرفتي يوماً فوجدت خطاباً من الناشر، يقول فيه بلغة بالغة حدّ العظمة والكبرياء « إنهم سيطبعون كتابي » ولقد قرأت هذا الخطاب مرات ومرات. ثم أصابتني حمى الفرح !. ويستطيع المؤلفون أن يقولوا لك إن سعادة في الدنيا لا يمكن أن تقاس إلى سعادة المؤلف بقبول الناشر إخراج كتابه الأول ! وفي الحق، لقد مرت بي إلى ذلك الحين لحظات كثيرة من السعادة، ولكنها جميعاً لم تكن تعدل سعادتي بذلك الخطاب

ووثبت إلى الطريق والخطاب في يدي، وهرعت إلى المطعم العتيد واندسست بين الفنانين الجالسين ؛ ورغم أني لم أكن أعرف أحداً منهم فقد حدثتهم بما صادفني من حسن الحظ. فشربوا نخبي، وبعد الغداء اصطحبوني إلى « استديو » أحدهم، ومن هذه اللحظة ؛ أحسست أن حياتي الحقيقية قد بدأت !

***

بعد ذلك توجهت لزيارة دار « سميث إلدر » للنشر والتقيت بالمستر « ريجنالد إلدر ». وإني لا أتصور الآن أن في دار من دور النشر مثل ما كان في غرفته من الفخامة والعظمة والأبهة ! وقد كان رجلا طويلا له سالفتان من شعر كثّ تتدليان إلى جانب صدغيه، كما كانت تبدو عليه الهيبة التي كانت تلازم رجال النشر في تلك الأيام !

ودعا لي الرجل بالتوفيق، وبعد ذلك عرّج على حديث سوقيّ ! قال إن الوقت عصيب بالنسبة للناشرين، ولهذا لم يكن في وسعه أن يدفع لي شيئاً من المال عن النسخ الثمانمائة الأولى من كتابي. وبعد بيع هـذا العدد من النسخ يكون لي حق النشر في ثمن ما يباع. ولم يسترع قوله اهتمامي، إذ لم يكن يعنيني شيء سوى أنني لن أدفع شيئاً !.

ولقد كان « ريجنالد سميث » رجلا طيبا، كما يبدو من اسمه. فأخرج « الحصان الخشبي » في غلاف رائع بالألوان. وبعد شهرين فقط رأيت في محل أحد باعة الكتب النسخة الأولى من كتابي. وبعد أسبوع من ظهور الكتاب كنت أجلس مع « المستر تشارلس ماريوت » في « الكورنول » وهو مؤلف كثير من أحسن القصص التي كتبت عن « الكورنول » قدمت إليه واحدة من النسخ الست الأصلية من « الحصان الخشبي ».

وبعد ستة أشهر أخبرني الناشر بأن ثمانمائة نسخة من كتابي — بالضبط — قد نفدت. وكنت قد أنفقت ثلاثة جنيهات في كتابة النسخ الأصلية على الآلة الكاتبة. ولهذا كنت إلى ذلك الحين محتملاً خسارة هذه الجنيهات الثلاثة. ولكن لو لم يكن من الغرور والفخر لذكرت أن الكتاب كان يباع دائما. وأنني تلقيتُ بعد وقت قصير حصتي في ثمن النسخ التي بيعت ذلك العام

وهنالك شيء أظنه على غير قليل من الطرافة، هو كيف أنني انقلبت من قصصيّ هاوٍ فاشل إلى مؤلف محترف بكل معنى الاحتراف، وهذا ما لم أفهمه أبدا

وبالرغم من أن قصتي « تْرُوىْ هانتون » لم تكن قصة مؤلف محترف متمكن على ما أذكر، وأنني ارتكبت فيها كل الأخطاء الممكنة من حيث الفكرة والأسلوب والبناء، فان قصتي « الحصان الخشبي » التي كتبتها بعدها مباشرة ؛ كانت أحسن ما كتبتُ من قصص مُجَوَّدة. وقد لا تكون مكتوبة بيد مرانة طويلة الخبرة بدقائق الفن ؛ ولهذا السبب فأن قيمتها الأدبية التافهة لم تكن شيئاً يذكر ؛ ولكن . . . بعد أن تعلمت هذه الدقائق الفنية لم تمد لي هذه التفاهة في التفكير !

وعلى أي حال فقد مضت سنون سعيدة جداً قبل الحرب، لم يكن التزاحم فيها بين القصصيين قد بلغ من العنف ما بلغه اليوم.

ولم تكن الصحف الكبرى تعنى بنشر روائع الفن القصصي . ولهذا لم يبرز من القصصيين العباقرة سوى أفراد قلائل جدا ، مثل « مردث » و « هاردي » و « هنري جيمس » ، في حين كان معظم كتاب القصة مشغولين بقص حكايات يستمدون أبطالها من شخصيات الحياة العملية بقدر الامكان . ولم تكن هنالك اتجاهات نظرية معينة في الفن القصصي إلا بقدر محدود ، كما أنه لم يكن هنالك من يعنى بشيء من وسائل الدعوة الخاصة على وجه الاطلاق !

ولقد كان للحياة في هذه السنين منظر ساحر خلاب بصفة عامة . فاذا أنت كتبت عن شخصية سعيدة ثم اختتمت قصتك ختاماً سعيداً أيضاً ، فانك تكون بذلك فناناً أميناً على الحق في فنك . وإذا حملت على بعض مظاهر السلوك الخلقي أو السياسي ، فانك بذلك لم تكن قد تورطت في موضوع رديء !

تركت « الدر سمث » بعد أن نشرت لي كتابي الثاني ، لأني كرهت أن أحرم ثمن النسخ الثمانمائة الأولى من كل كتاب من كتبي : وصادقت « مارتن سيكر » ذلك الناشر النبيل الذي كان في ذلك الوقت يدعى « د . ه . بورنس و كومبتون ماكنزي وفرانك سونيرتوس وفرانسيس برت يونج وجلبرت كانان » وليس في وسع بياني أن يعبر عما ندين به للصديق « مارتن سيكر » فلقد كان صديقاً وفياً . يتولى مهمة الناشر في إخاء ومودة ، وإنه ليسعدني أن أذكر أنه حينما غامر بنشر قصتي « الصبر » ؛ لم يأسف على هذه المغامرة ! !

القاهرة

احمد فتحي

بين الشرق والغرب

لباحث فاضل

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

(ثالثاً) : (كذلك لا يعترض علينا بالجانب العلمي من الثقافة الاسلامية لأنها نتيجة الأخذ بأساليب الفكر اليوناني)

انتهى الكاتب إلى أن الجانب العلمي من الثقافة الاسلامية نتيجة الأخذ بأساليب الفكر اليوناني . ولماذا لا يكون هذا الجانب نتيجة للأخذ بأساليب الدين الاسلامي وتعاليمه ؟

١ — « الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ... »

٢ — « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ... »

٣ — « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون »

٤ — « فلينظر الانسان مم خلق، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب »

هذه آيات بينات اعتقدها المسلم لا بالسيف ولا بغيره، ولم تدخل في معتقده عن طريق العاطفة والمسايرة بل دخلت عن طريق العقل فقط . ألا ترى أن في كل حرف فيها دعوة صريحة إلى التفكر في مخلوقات الله ؟ ولماذا دعاهم إلى هذا التفكر ؟ ليعتقدوا بعظمة الله أم يهتدوا بوجوده ؟ لاشك بأنه للاهتداء إلى الوجود لأن التعظيم يكون لشيء يعتقد بوجوده وهم لم يعتقدوا بعد بذلك. سمح لهم بالشك في كل شيء والتفكر في كل شيء ودعاهم إلى تحرير عقولهم من قيود العبودية الزمنية . وبعد هذا ألا تعتبر هذه الدعوة أساساً علمياً، لأن استعمال العقل في التفكر في مخلوقات الله هو الأسلوب العلمي بعينه . أفيكون اليونان أصحاب الفضل في ذلك فيأخذ عنهم فلاسفة المسلمين هذا الجانب العلمي أم يكون الدين الاسلامي هو الأصل الأول؟ اللهم لا يكون اليونان وفلاسفتهم أصحاب هذا الفضل إلا إذا أخذ القرآن بأساليب الفكر اليوناني أو إلا إذا اعتبر متكلمة المسلمين وفلاسفتهم فلسفة اليونانيين مصدراً أوليا في معتقدهم وكان القرآن مصدراً ثانويا ، والحقيقة تكذب هذا وذاك . وهم ما استعانوا بالفلسفة اليونانية إلا بعد أن تشربت قلوبهم معتقدهم الديني ، وما كانت لهم الفلسفة إلا أداة منطقية لا علمية ، والمنطق غير العلم إلا إذا امتزجا (قبل أيام)

(رابعاً) : (انتهى متكلمة المسلمين إلى أن العالم حادث وانتهى الغربي إلى أنه قديم) ، هذا ما قاله . والمقصود من هذا واضح ، وتقرير هذا القول يحمل الناس على تقرير التفاصيل بين العقلية العلمية للغرب وبينها لمتكلمة المسلمين . هذا صحيح لو كان الكلام صحيحاً ، ولو عنى متكلمة المسلمين بكلمة حادث ما عناه حضرة الفاضل . فانا نعلم وغيرنا يعلم بأن كلمة (حادث) هنا لا تعني ولا تدل على تاريخ زمن معين كأن يقال كذا آلافاً من السنين ، وإنما عنى متكلمة المسلمين بهذه الكلمة أن العالم حادث بالنسبة للخالق ، أي أن الخالق قديم بالنسبة لمخلوقاته ، فقرروا القدم الذي لا حد له إلى الله وقرروا الحدثية إلى مخلوقاته

(خامساً) : وبعد ذلك فتكلمة المسلمين (انتهوا إلى أن الخالق مطلق التصرف في الكون منفصل عنه ومدبر له ، وأنه السبب لكلّ ما يحدُث والعلة الأولى والأخيرة لكلّ ما يكون وسيكون) . هذا ما قاله حضرة الفاضل ، فهل نفي بهذا القول طبيعة العقل العلمي لهؤلاء المتكلمة ؟ أليس الدين الاسلامي المرجع الأول لهؤلاء المتكلمة ؟ فلماذا نأخذ الناحية السلبية من هذا القول ولا نقرر بأن الدين الذي اعتمدوا عليه كأساس أولى في مذاهبهم الكلامية قد دعاهم إلى أن يسعوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه وهو الذي دعاهم إلى ألا يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة ؟ فاذا كانوا قد اعتقدوا تلك الناحية السلبية فقط من قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » ، فهل يتناسب هذا الاعتقاد مع حقيقة الواقع وهم إنهم جعلوا للعقل حقه في تقرير مصير صاحبه ؟ ثم هل يتفق هذا القول مع كثير من أقوال متكلمة المسلمين كالنظّام والجاحظ وغيرهما في الشك وفي تقدير العقل إلى أبعد حدود التقدير ؟

ثم نراه قد منح العقلية الغربية منحة تأباها وقرر لها مذهباً

تنفر منه لأن العقل لا يقره فقال: (انتهى الغربي إلى أن إرادة الله مقيدة بنظام الكون وأفعاله قائمة على عنصر اللزوم والاضطرار).

أى كلام هذا؟ وكلام من هو؟ ومن قال بأن الغربي يعتقد هذا إلا إذا فقد الجانب العلمي من قوى تفكيره؟ للكون سنن ولنظامه نواميس فمن أقرها ومن وضعها؟ أليس هو الله؟ ومن يفكر بأن إرادة الله هي التي تسيطر على هذا الكون؟ أفيكون خالق الشيء مقيداً به وتكون إرادته متعلقة به؟

فاذا كان بقاء هذا النظام الكوني دليلاً على شيء فهو أن إرادة الله لم تتغير وأنه أراد الكون على حاله. فاذا تغير هذا النظام الذي أراده الله اعتقدتم بأن هذا النظام مقيَّد بإرادة الله إذاً فلتنتظروا

(سادساً): فى نظر الغربي (أن فى قدرة الانسان تغيير المقدر له عن طريق معرفة النواميس المحكمة فى وجوده)

أهذا كلام يقال؟ فلا هو منطق ولا هو علم، ولا هو حقيقة ولا هو خيال. رجل لا يعلم ما قُدّر له فكيف يكون قادراً على تغييره؟ ثم هب بأنه علم ما قدر له كأن أوحى الله له بذلك أفيكون قادراً على تغيير ما أراد الله وتكون إرادة الانسان فوق إرادة الله؟ نحن لا نفهم من هذا القول إلا أنه كفر من ناحية دينية وكفر آخر من ناحية عقلية؛ وكفرٌ واحد عظيم فى حدّ ذاته فكيف بالكفرين؟

إذا كانت علوم الغرب دليلاً على عقليتهم فالى أى حد انتهوا فى علومهم؟ كان يقال قديماً بأن من يبحث فى العلوم الطبيعية ابتعد عن الخالق، واليوم يقال بأن كل من امتهن هذه الصنعة وسلك هذا الطريق فلا شك بأنه يسير بخطى واسعة نحو الخالق إن كان كافراً به

فهؤلاء علماء مادة الحياة كلما عجزوا عن تفهم سر شيء ازدادوا إيماناً بأن قدرة عليا فوق قدرتهم واتفقوا على غير موعد بأن إرادة الخالق قد أخضعت كل النواميس لها، ونحن ما علمنا ليومنا هذا إلا ما أراد الله لنا أن نعلم. أفيذهب بنا الغرور إلى حد تقييد الله بشيء خلقه؟

(سابعاً): (ثم المسيحية هى التى سادت أوربا فى العصور الوسطى فنزعت بها منزع التفكير المعروف) الواقع يقرر عكس هذا، إذ ليس فى الدين المسيحي ما يقرر ذلك الجمود فى القوى الفكرية كالذى ساد فى العصور الوسطى

نحن نعلم بأن المسيحية وجدت فى الشرق فكانت سبباً إلى حد كبير فى توجيه منازع التفكير المختلفة من روحية واجتماعية وخلقية فقامت بنصيبها من الاصلاح، وسارت المسيحية بتعاليمها إلى الغرب ذاته وكانت حاله أسوأ حال فهذبت من نفوس أقوامه ما ساعدتها طبيعتهم الخشنة وعقليتهم السميكة. وخنقت المسيحية فى الدير والكنيسة تراث اليونان والرومان وغيرهم فقدمت للتاريخ العلمي خدمة لا تقدر بقيمة. وبعد هذا لم تكن المسيحية ولم تكن روح النسك الشرقية التى جاءت معها سبباً فيما ساد العصور الوسطى من فوضى واضطراب وقصور فى النواحى الثقافية والعلمية. أيتهم الشرق بأنه سبب ذلك ولا يتهم الغرب وأقوامه هم الذين وجهوا تعاليم الديانة المسيحية وجهة مادية؟

ثم ما هى العقلية التى جاءت بصكوك الغفران وما هى الطبيعة التى تقبلت الشرائع القوطية؟ أجاءت مع المسيحية من الشرق أم نبتت فى الغرب ومن بنات أفكار أقوامه، وهذا هو الواقع.

(ثامناً): (فان شارل مارتل أنقذ العقلية الغربية من العقلية الشرقية حين كانت تغزو أوروبا على يد العرب) لو جاء بهذا الكلام أحدٌ من الغرب لعذرناه، فطبيعة الانسان كثيراً ما تغالط نفسها فتنكر الفضل على مستحقه. ولكن أن يأتى هذا الكلام من شرقى عربي فهذا مالا يُصدق.

حقيقة صد شارل مارتل تيار العرب، فترى ماذا صد مارتل وماذا منع عن أوروبا؟ أمنع روح النسك؟ والعرب لم يعرفوا بذلك لا فى الشرق ولا فى الغرب؟ أم أنه صد عن أوربا سبعة قرون من ينابيع الفكر والعلم والثقافة؟ وهذا ما أقر به علماء الغرب ومؤرخوهم قبل أن ينكره أحد من الشرق والعرب. سلوا مؤرخى النهضة الأروبية واستفتوا كتبهم عن أثر الأندلس فى تلك النهضة، ألم تكن جامعاتها وحلقاتها قبلة للطلاب من كل ركن فى أوربا؟ فلماذا تأثروا بالعلم ولم يتأثروا بالنسك؟ ألأن العلم أسهل اقتباساً من النسك أو لأن العلم كان لديهم ولم يكن النسك؟

أفيكون مارتل بعد هذا قد أنقذ العقلية الجرمانية وهى كما يعلمها طلبة التاريخ من العقلية الشرقية يأتى بها العرب، أم يكون مارتل قد أنقذ الجهل من العلم قروناً؟

فردريك نيتشـــــه

للأستاذ فليكس فارس

— ٢ —

« إن من الحب ما ينشأ عن الحياة الجسدية حاجة ملحة متقلبة كالحياة نفسها، وفى النساء كما فى الرجال أناس حبهم أشبه بالجوع والظمأ يتهافتون على أية مائدة ويرتوون من أى ينبوع . وماذا عساه يفهم من الحب من يرى المحبوب مائدة وينبوعاً ؟ قلّ من الناس من يدرك أن مَنْ أنكر على المحبوب شخصيته التى لا تستبدل فقد أنكر هو ذاته شخصيته التى يحس بها »

« لا صلاح لأمة فسدت منابت أطفالها ، وهذه عبر التاريخ ماثلة لعيان من يريد أن يرى

أفما كانت كل الأمم التى اندثرت واستبعدت تمر أولا فى مرحلة تدنى الأخلاق وانطلاق الشهوات عابثة بأشرف ما خلق الله فى الانسان ؟ »

« سوف يأتى يوم ، وهو غير بعيد ، تتنبه المدنية فيه إلى أن الرجل المتفوّق الذى ينشده العلماء فى الغرب لن يخلق لهم من التمرين لقوى العقل وقوى الجسد ولا من فحص خلايا المتزوجين بالمجهر حتى ولا من تلقيحهم بالمواد الـكيماوية أو تطعيمهم بغدد القرود

إن الرجل الـكامل أو الأقرب إلى الـكمال إنما هو ابن الحب الـكامل ، فالمحبة وحدها هى السبيل المؤدى إلى إدراك الحق والقوة والجمال

لتدع العالم المتمدن يفتش فى علومه ونهضة مفكريه عن هذا الحب الذى تخيله ماركس متجلياً فى الحرية التامة للناس فى أهوائهم فجاءت البلشفة تثبت انخداع هذا الفيلسوف فى نظرياته ، ليفتشوا أنهم لن يتصلوا فى تجاربهم إلا إلى العبر الزاجرة المؤلمة

أما نحن أبناء هذا الشرق الذى انبثق الحق فيه انصباباً من الداخل بالالهام لا تلمّساً من الخارج ، فلنا المسلك المفتوح منفرجاً أمامنا للاعتلاء والخروج إلى النور بعد هذا الليل الطويل إذا نحن أخذنا بروح ما أوحاه الحق إلينا

لا بترقية الزراعة والصناعة ، ولا بنشر التعليم والتهذيب ، ولا بجعل البلاد جنة ثراء وتنظيماً تنشأ الأمة ويخلق الشعب الحر السعيد

إن الجنين الذى يحمل أسباب شقائه وهو فى بطن أمه لا يمكنه أن يصير رجلا حراً قوياً يفهم حقيقة الحياة ويتمتع بالعظمة الـكامنة فيها

إن الاهتمام بإيجاد الطفل الصالح أولى من العمل لاعداد العلم والتهذيب لطفل نصقل مظاهره صقلا وتتحطم كل محاولة للنفوذ إلى علته المستقرة فيه منذ تكوينه »

« ليس الفقير المتسوّل ، ولا العليل المتألم ، ولا الشيخ الهرم يتمشّى بلا سند إلى قبره . ليست المرأة المستعبدة بلقمة ولا الفتاة المخدوعة المنطرحة على أقذار المواخير ، ليس كل هؤلاء النـاس الأشقياء فى الحياة بأشقى من الأطفال يجور عليهم آباؤهم وأمهاتهم قبل أن يقذفوا بهم إلى الوجود ويرهقوهم بالقطيعة والاهمال بعد أن يدرجوا عليها بأقدامهم الناحلة المتعثرة ...

الرجل الذى يمسخ حبه الواحد شهوات متعددة، والمرأة التى

(ناسماً) وأخيراً ، وهذا أبعد ما استبعدناه أن يأتى به الدكتور العـالم وهو أن العـلم يتلون بروح الأمة ، فكتب الرياضيات والطبيعيات وحقائقها فى فرنسا هى غيرها فى ألمانيا، لأن لـكل لوناً خاصاً فى الحياة . فالنظرية الآرية تختلف فى كل قطر على هذا الأساس الذى أتى به لأن روح الأمتين مختلفة . ولربما كانت نظرية الحمار فى بلاد الانـكليز نظرية الدب فى روسيا لأن روحيهما مختلفان

هذا بعض ما لاحظناه على المقال المذكور ولو كان مجرد رأى لما حاولنا الجدل فيه ، ولـكن الكثير منه يتصل بالأمة العربية والأمم الاسلامية وبعضه يتصل بالحقائق التاريخية

أما الرأى من حيث هو فيما لا يتصل بهذا أو ذاك فميدان المناظرة فيه واسع فسيح وهذا ما لم أقصده فى هذا المقام والسلام

(* * *)

التي تتقصف متهتكة ماسخة هيكل نسمات الله مركماً لنفايات البشر من عبّاد الخيانة والطيش ، إنما هما آدم وحواء مطرودَين من الجنان إلى أرض الجهود المضيّمة والآلام المحتّمة ، ومَنْ يدرى أن حديث معصية الأبوين ليس رمزاً لخيانة الحب ، تلك الخيانة التي تنزل اللعنة بمرتكبيها وبأبنائهم من بعدهم ... ويلٌ للرجل الذى يهدم بيديه سعادته وسعادة أبنائه، وويلٌ للمرأة التي تدنس منبت أطفالها »

* * *

ليس فى تمهيد موجز كهذا مجالٌ لبحث فلسفة نيتشه التي شغلت كبار كتاب القرن التاسع عشر ولم يزل الفلاسفة يكتبون عنها إلى اليوم ، غير أن ما تناولناه إلماماً من نظريات نيتشه يكفينا لتحديد ما يجب أن نغفله منها دون أن ننتقص من قدر هذا العبقرى لأنه اقتحم أسرار الكون معتمداً ذاته فعاد عن هذه الأسرار مدحوراً . وهل من كاتب قبله أو بعده تمكن من حل ألغاز الوجود والوقوف منها عند عقيدة صريحة تستغنى عن الايمان بالقوة الخفية المتعالية عن التعليل والتحليل ؟

حَسْبُ نيتشه فى موقف حيرته ، وما هي بالدرجة الوضيعة على سلم التفكير، أن يهتك سريرته أمامك دون أن يلجأ إلى إعمال السفسطة لإيجاد وحدة ظاهرية وتناسب مزّيف فى صرح تفكيره ، حسبه أن اندفع وراء المثل الأعلى الكامن فى « إرادة القوة » تبعاً لتعبيره وفى نفس الانسان الخالدة تبعاً لعقيدة المؤمنين ، فبسط أمام المفكرين من مشاهد المجتمع ومن مسالك الأرواح على معابر الأرض ما لم يلمحه سواه من المنشئين

إن ما نرانا بحاجة إلى الوقوف عنده من فلسفة نيتشه فى كتاب زرادشت الذى لم تفته قضية اجتماعية لم يقل فيها كلمة كان لها دويها فى العالم الغربي ، إنما هو هذه المبادئ التي تجتث ما غرست قرون العبودية فى أوطاننا من استكانة حولت إيمانها إلى استسلام فى حين أن روح شرعتها يهيب بالنفس إلى الجهاد فى سبيل الوطن والانسانية جمعاء

إن الدين الذى يهاجمه نيتشه إنما هو صورة لأصل شوهها الغرب ، وما علّم هذا الدين أن الحياة معبر على المؤمن اجتيازه وهو مُعرِضٌ عن كل ما حوله مغلق أبصاره على باب قبره . بل علم أنّ الحياة مرحلة من أشواط الآزال والآباد وما تطهر أنفسٌ لم تحترق أجسادُها ولم تُمهِّد صلاحاً لباقياتها باصلاح زائلاتها

ليس نيتشه إذاً مبدع فكرة التكامل للانسان على الأرض فان التكامل مبدأ جملته الأديان السماوية أساساً لكل وصية تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، غير أن الدين قد أراد للانسان تكاملاً روحياً يهيئه إلى إدراك بارئه وراء المحسوس فى حين أن نيتشه ، وقد أنكر مالا تقع الحواسُ عليه ، أراد أن يفلت الانسانُ من حدود إنسانيته على هذه الأرض فيجعلها جنةَ خلدٍ يستوى عليها بجبروته إلهاً . . .

وقد عزب عن هذا الفيلسوف أن المخلوقات كلها فى سلسلة الوجود لاتملك الانعتاق من حدود أنواعها، ومهما كرّت القرون وتعاقبت الأجيال لايمكن للجماد أن يفلت من مملكته إلى مملكة النبات، ولاللنبات أن يجتاز حدود مملكة الحيوان، ولا للحيوان أن يجتاح مملكة الانسانية .

لذلك كان الذاهب فى طلب إنسان يتفوق على الانسانية كالمحاول استنبات الشجرة حيواناً أو استبدال الحيوان إنساناً .

لقد كرت القرون على مبدأ التاريخ الذى نعلم وعلى مالا نعلم من حقبٍ كرّت ما وراءه ، والانسان لم يزل هذا المخلوق الدائر أبداً ضمن حلقة إنسانيته .

لقد كان نيتشه من المتقدين باستحالة الأنواع حين صرخ بلسان زرادشت وهو يخاطب الحشد فى الساحة العمومية :

« لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى . على أنّ الانسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود فى قرديته »

ولكنه بالرغم من هذا يصرّح بأن هذا النوع القردي وهو الانسان لم ينسلخ عن أصله، فكيف زين له خياله أن فى هذا النوع إنساناً فائقاً لايزال كامناً منذ البدء ينتظر قدوم فيلسوف فى أواخر القرن التاسع عشر يستجلى هذا الجبار ويمده بارادة جديدة تتسلط لا على الحاضر والمستقبل فحسب بل على ما مر وتوارى أيضاً فى عاصفات الأحقاب ؟..

إن بدعة الانسان المتفوق إنماهى فى تقديرنا تشوق نفس شعرت بأنها كانت وستكون ، وقد ضرب الالحاد حولها نطاقاً فتوهمت أنها ستبلغ فى هذه الحياة ما ليس من هذه الحياة .

إن نيتشه يعلن إلحاده بكل صراحة ويباهي بكفره؛ غير أننا لا نكتم القارىء الكريم أن ما قرأناه بين سطوره ، وقد مررنا بها كمن عليه أن يتفهم كل معنى ويستجلي كل رمز ، يحفزنا إلى القول بأننا لم نر كفراً أقرب إلى الايمان من كفر هذا المفكر الجبار الثائر الذي ينادي بموت الله ثم نراه متجلياً أمامه في كل نفس تخفق بين جوانح الناس من نسمته الخالدة ، فان هذا الملحد ، بالرغم من اعتقاده بأن الجسد هو أصل الذات وأن الروح عرض لها وبان كلا الروح والجسد فانيان ، لا يملك نفسه من الهتاف وهو يؤكد عودة كل شيء واستمرار كل شيء فيقول :

— أواه كيف لا أحن إلى الأبدية وأضطرم شوقاً إلى خاتم الزواج ، إلى دائرة الدوائر حيث يصبح الانتهاء ابتداء . إنني لم أجد حتى اليوم امرأة أريدها أماً لأبنائي إلا المرأة التي أحبها لأنني أحبك أيتها الأبدية !

إني أحبك ، أيتها الأبدية

أين هذه الهتفة الرائعة تصدو في أعماق روح تتطيّر من الزوال من ابتسامة الملحد الصفراء وهو لا يرى وراءه وأمامه إلا العدم والزوال ، بل يكاد يرى وجوده خدعة وخيالاً كاذباً

إن فلسفةً لا تستنيم لفكرة الفناء ولاترى في النهاية إلا عودة إلى بداية ليست بالفلسفة الجاحدة ، فالمفكر المؤمن بانسانية عليا تتدرج إلى الكمال حتى ولو قال بألوهيـة الانسان على الأرض لا يمكنه إلا أن يؤمن في قرارة نفسه بكمال مطلق تتشوق روحه إليه ما وراء هذا العالم

ولا بد هنا من إيراد تاريخ موجز لحياة هذا الفيلسوف ، وليس في حياته القصيرة وهي مليئة بالآلام من الحوادث ما يستحق التدوين غير المراحل التي مر عليها تفكيره فتأثر بها . وهل نيتشه إلاَّ فكرة وهل حياته إلاَّ وقائع ميادينها السطور والصفحات ؟

ولد هذا العبقري الثائر سنة ١٨٤٤ في بلدة روكن من أعمال ألمانيا وكان أبوه واعظاً بروتستانياً من أسرة بولونية هجرت بلادها في القرن الثامن عشر على أثر اضطهاد شرّد منها أشياع كنيسة الاصلاح

وما بلغ فردريك الخامسة من عمره حتى مات أبوه فكلفت أمه تربيته وتربية أخته فأرسلته إلى مدرسة نومبورغ ثم انتقل منها سنة ١٨٦٤ إلى كليتي بون وليبسيك حتى إذا بلغ الخامسة والعشرين من عمره سنة ١٨٦٩ تجلّى نبوغه فعين أستاذاً للفلسفة في كلية بال

بعد سبع سنوات أي سنة ١٨٧٦ ظهرت عليه أعراض « الزهري الوراثي » فحكمه صداع شديد أضعف بصره فبقي باقي الدروس حتى سنة ١٨٧٩ إذ اضطر إلى الاستعفاء ليذهب متنقلا بين روما وجنوا ونيس وسيل ماريا وهو يعمل الفكر ويكتب مصارعاً علتـه عشر سنوات ، فلا هو يبرأ منها فيحيا ، ولا هي تجتاح دماغه الجبار فيموت إلى أن جاءته سنة ١٨٨٩ بالفالج مقدمة للجنون فتوارى سنة ١٩٠٠ بعد أن سبقته إلى الموت عبقريته العليلة وإرادته الوثّابة الجبّارة

« يتبع » فليكس فارس

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى خذوا معانى العظمة فى نسقها
الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ... ...

— ٢٥ —

لم يتردد الرئيس في العمل على إبطال قرار فريمونت على الرغم مما بدا له من تحمس الرأى العام له ومظاهرته إياه فيه على نحو ما بينا ؛ ولقد كان من أبرز خلال أبراهام أنه كان لا يعرف التردد أو النكول إذا هو عقد النية على أمر اقتنع بصوابه واطمأن إلى نفعه ووثق من مقدرته على الاضطلاع به ؛ وما جرب عليه من عملوا معه أنه صمم قط على رأى ثم انصرف عنه ، ولذلك كانوا إذا عزم أذعنوا طوعاً أو كرهاً فما لهم من ذلك بد ...

وتصرف لنكولن تصرف السياسى الحكيم ، فكتب إلى فريمونت يسأله أن يعدل قراره وأن يظهر للناس كأنما يفعل ذلك من تلقاء نفسه ؛ ولكن فريمونت لم يذعن لذلك وكبر عليه أن يتراجع ؛ فلم ير الرئيس بدًّا من أن يعلن قراراً عدل به قرار فريمونت غير عابئ بما كان من مخالفة الرأى العام له ولا وجل من تصايح الصائحين من دعاة التحرير ... وبذلك العمل الحازم الحكيم قضى الرئيس على نذير من نذر الفرقة والتنابذ ، وكسب بذلك وقوف ولاية كنتوكى إلى جانبه ...

ولا تحسبن الرئيس كما تقول عليه خصومه ومخالفوه فى الرأى من أنصاره ، قد اتخذ بذلك سبيلاً رجعية ؛ كلا ، إنما هى السياسة الحكيمة تقضى عليه ألا يتنكب الطريق التى رسمها منذ شبت الحرب ، ألا وهى جعل المحافظة على الوحدة أساس هذا الصراع القوى ؛ أما مسألة العبيد فما هو بغافل عنها وإنما هو يؤثر الأناة حتى تتهيأ الفرصة ...

هذا ما كان من أمر فريمونت ؛ أما ماكليلان فلقد ظل يدرب جيشه على حدود فرجينيا وهو لا يفتأ يرسل إلى الرئيس يطلب فرقاً جديدة ، ولا يفتأ يتبرم بأى استفهام يأتيه من قبل الرئيس عما هو عسِيٌّ أن يفعله ؛ ولقد كان هذا القائد الشاب يكره من الحكومة تدخلها فى شؤونه ؛ بل لقد كان يزدري أعضاء مجلس الوزراء ويرميهم بالغباء ، أو كما يقول إنه شاهد أكبر نوع من الأوز فى ذلك المجلس

وبلغ به الذهاب بنفسه حدًّا جعل الناس يظنون به الظنون حتى ليحسبونه يتطلع إلى الرياسة ، فهو ينتظر لا يعمل عملا حتى تواتيه الفرصة إلى انقلاب يأتى به على غرة ... ولكن الرئيس على الرغم من مسلك ماكليلان يعينه قائداً عامًّا للقوات بعد أن يترك سكوت العمل لكبر سنه

ولا يقف صلف ماكليلان عند حد ، فلقد ذهب الرئيس مرة إليه يستنبئه عن أمر ، فتركه القائد لحظة ينتظر قبل أن يلقاه؛ وشاع ذلك فى الناس، وأشارت إليه الصحف ، وانعقدت الآراء على استنكاره ، ولكن الرئيس لم يعبأ بما حدث ، فما كان هو بالذى تلهيه المسائل الشخصية عما هو فيه ، ولقد رد على ذلك بقوله « إنى لأمسك لما كليلان زمام جواده إذا هو جاء لنا بانتصارات » .

ولكن حدث بعد ذلك أن ذهب الرئيس ومعه كبير وزرائه إلى مكان القائد فلم يجداه ، فجلسا ينتظران حتى رجع ؛ وأنبأه بعض الجند بانتظارهما إياه ؛ فصعد إلى غرفته وأرسل إليهما رسالة يأسف فيها لعدم استطاعته أن يراهما لأنه متعب ! واستشاط سيوارد من ذلك غضباً، ولكن الرئيس راح يهون الأمر عليه . . على أنه كف بعدها عن زيارة ذلك القائد المدل بنفسه . .

وقدر على الرئيس فضلا عن ذلك أن يلاقى العنت من الرأى العام كما يلاقيه من أكابر قواده ، ومن أمثلة ذلك ما كان من موقف الناس إزاء قرار فريمونت فلقد بالغوا يومئذ فى إعنات الرئيس وإحراجه . . حتى كان موقف آخر فعادوا إلى غيهم يأخذون على الرئيس مسالك القول والعمل ، وكان ذلك الموقف نتيجة لما أدت إليه الحوادث بين حكومة الاتحاد الشمالى وبين الحكومة الانجليزية . .

كان لنكولن يخشى أن تسوء العلاقات بين حكومته وبين انجلترة ، إذ كانت الأنباء تنذر بذلك ؛ فكثير من رجال الحكومة الانجليزية كانوا يرون أن تعترف حكومتهم بالاتحاد الجنوبى كحكومة مستقلة حتى يتسنى لانجلترة أن تدخل سفنها الموانىء الجنوبية وعلى الأخص موانىء القطن ، دون أن يكون فى ذلك

تصادم مع الحصار المضروب عليها من الشماليين . . وأخذت الصحف الأنجليزية تدعو إلى ذلك وتلح فى الدعوة غير عابئة بما ينطوي عليه ذلك من التحدى لأهل الشمال .

واشتد غضب حكومة الاتحاد الشمالى بقدر ماعظم فرح الجنوبيين ، إذ كان كل فريق ينظر باهتمام شديد إلى ماعساه أن يحدث من جانب انجلترة . . وبلغ من استياء سيوارد أنه كتب احتجاجاً إلى الحكومة الأنجليزية ، لم يخفف من حدته ما أدخله عليه الرئيس من تعديل ، فلقد كان يحرص الرئيس أشد الحرص أن يفوت على الجنوبيين مايأملونه من انضمام انجلترة إليهم .

وفى هذا المأزق الحرج يأتى أحد القواد البحريين عملاتزداد به الأمور تحرجا حتى ليحسب الناس أن الحرب واقعة بين انجلترة والولايات المتحدة ما من ذلك بد ...

وبيان ذلك أن القائد البحري ولكس داهم سفينة انجليزية كانت تحمل رسولين من قبل الولايات الثائرة أحدهما إلى انجلترة والآخر إلى فرنسا أبحرا ليسعيا لدى الحكومتين الانجليزية والفرنسية أن تأخذا بيد الاتحاد الجنوبى . . . وأرغم ولكس الرسولين على النزول فأسرهما على الرغم من احتجاج قائد السفينة الانجليزية

ووصلت الأنباء إلى وشنجطون فراح الناس يعلنون إعجابهم بالقائد ولكس ويثنون على عمله ، وما لبث أن انهالت عليه رسائل الأعجاب والثناء ؛ ولقد أثنى عليه فيمن أثنوا المجلس التشريعى نفسه ، وكثير من الزعماء ورجال الصحافة ؛ وهكذا انحاز الرأي العام إلى جانب ولكس كما انحاز إلى جانب فريمونت من قبل لتزداد بذلك الأمور تعقدا وخطرا ...

أما عن موقع النبأ فى انجلترة فلك أن تتصور مبلغ ما أثار من سخط واستنكار ، فى ظروف كتلك التى نتحدث عنها ، وكذلك كان للنبأ فى فرنسا موقعه الشديد وأثره السيء

اعتبرت انجلترة هـذا العمل من جانب القائد ولكس إهانة موجهة إلى العلم البريطانى الذى كان يخفق فى سارية تلك الجارية التى كانت تحمل الرسولين وقدمت لندن إلى وشنجطون احتجاجها وأنذرتها أن تقابل العدوان بمثله إلا أن تسرع بتقديم الترضية الكافية ، ولن تقنع انجلترة بأقل من إطلاق الرسولين وعدم التعرض لهما ثم الاعتذار عما حدث ...

عندئذ اشتد هياج الولايات ورأت فى إنذار انجلترة إياها معانى الاذلال وسوء النية وقبح استغلال الحوادث ؛ وأصر الناس على المقاومة مهما يكن ثمنها . وأمدت انجلترة حامية كندة وأخذت الولايات تزيد فى قوة ثنورها الشمالية ، وفى الجملة لم يبق إلا إعلان الحرب . على أن بعض العقلاء استطاعوا أن يطيلوا الوقت المحـدود للانذار بضعة أيام عل أهل الولايات وخصومهم فى انجلترة يرون حلا تحقن به الدماء

وأخذ الوقت يتصرم ولـكن أهل الولايات مصرون على موقفهم لايثنيهم عنه شيء ! ورئيسهم ووزراؤه يفكرون فى هذا الخطر الداهم ، وكان سيوارد يميـل الى خوض غمار الحرب ضد هؤلاء الانجليز الذين تنطوى قلوبهم على الحقد والحنق منذ خلعت الولايات الأمريكية نير انجلترة فى عزة وإباء

وهكذا يجد لنكولن نفسه فى شدة ما مثلها شدة . . . فهو بين أن يجارى الرأى العام وبذلك يجر على البلاد حربا خارجية طاحنة تأتى مع الحرب الداخلية القائمة فى وقت واحد ، أويطلق الرسولين ويقضى على أسباب الخلاف بينه وبين انجلترة وبذلك يجنب بلاده خطرا محدقا ، وإن تعرض بعدها للوم اللائمين وسخط الساخطين واتهامات المبطلين . . .

ولكنه لنكولن الذى لا يعرف الخور والذى لا يطيش فى الملمات صوابه . . . إنه الرجل الذى تزداد عزيمته مضاء بقدر ما تزداد الحادثات عنفا وخطرا ، والذى تزداد قناته صلابة كلما ازدادت الخطوب فداحة والأعباء ثقلا واستفحالا . . .

عقد ابراهام مجلس وزرائه وأخذ يناقش الأعضاء ويناقشونه وهومن أول الأمر لا يؤمن بعدالة ما فعله ولكس ؛ وبعد جهد استطاع أن يحمل المجلس على قبول رأيه ثم أعلن بعدها فى شجاعة وحزم اطلاق الرسولين ، وأجاب على إنذار الحكومة الانجليزية برسالة متينة جاءت دليلا قويا على حكمته وبعد نظره ، رسالة احتفظ فيها بكرامة بلاده وعزة قومه، وجنبها بها فى الوقت نفسه خطرا ما كان أغناها عنه يؤمئذ

وارتاحت انجلترة لما فعل الرئيس وأثنى رجالها على حنكته وشجاعته ؛ ولكنه لاقى فى بلاده من السخط والاستياء مالايقوي على مواجهته غيره ، وأوشكت مكانته فى القلوب أن تتزعزع ، وراح يرتاب فيه المتحمسون ويصفون عمله بالجبن والخور . . . ولكنه فيما بينه وبين نفسه يعتقد أنه أسدى صنيعاً إلى قومه لا يدركه إلا العقلاء ، الذين لا يجملون فى كل وقت للعواطف

سلطانا على أعمالهم . . . . قال مرة يرد على الساخطين « لقد حاربنا بريطانيا العظمى مرة لأنها فعلت عين ما فعله الكابتن ولكس ؛ فاذا مارأينا انجلترة تحتج على هذا الفعل وتطلب إخلاء سبيل الرسولين فواجبنا هو ألا نخرج على مبادئنا التى ترجع إلى عام ١٨١٢ . . . . يجب أن نطلق هذين السجينين وحسبنا حربا واحدة فى وقت . . . . »

ومضى العملاق بعدها فى سبيله يؤدي للانسانية رسالته ؛ وإننا لنرى هذا الجبار الذى درج من بين الأحراج والأدغال يحمل العبء وحده في الواقع . . . بل إنه كما ذكرنا ليلاق مما يفعل كثير من أكابر رجاله أعباء تضاف إلى أعبائه ولكنه معود حمل الأعباء ومواجهة الأنواء

وإنه ليسأل نفسه: ألم يأن لهؤلاء الرجال أن يعملوا كما تطلب الظروف ؛ وماذا على فريمونت لو كان رجع إلى الرئيس، ثم ماذا على ما كيلان لو أنه خفض جناحه وألان جانبه وأخذ الأمور بالشورى . . ؟ ولكن ها هو ذا قائد آخر يفعل مثل مافعل فريمونت، وذلك هوهنتر الذى كانت له القيادة فى كارولينا الجنوبية ؛ وكان هنتر أكثر جرأة من فريمونت أو على الأصح أكثر نزقا فلقد أعلن أن سكان ڤرجينيا وفلوريدا وكارولينا الجنوبية من العبيد أحرار بعد اليوم إلى الأبد . . . .

ولم يسع الرئيس إلا أن يعجل بنقض هذا القرار فى غير مجاملة أو هوادة ، فلقد كان هنتر خليقا أن يعتبر بما كان من أمر صاحبه فريمونت وكان مما أعلنه الرئيس قوله : « إن حكومة الولايات المتحدة لم تخول للقائد هنتر ولا لأى قائد أوشخص سواه من السلطان مايعلن معه تحرير العبيد فى أية ولاية من الولايات، وإن هذا الاعلان المزعوم، سواء كان حقيقيا أو زائفاً، هو إعلان باطل »

ولا يكاد الرئيس ينتهى من نزق إلا ليواجه نزقاً غيره ، فهاهو ذا وزير الحربية كامرون يرسل رسالة إلى بعض الضباط شبيهة بما أعلنه فريمونت وصاحبه . . ولولا أن تدارك الرئيس الأمر لأحدثت من سوء الأثر مايصعب بعد علاجه ؛ ولقد أبرق الرئيس إلى مكاتب البريد لترد نسخ تلك الرسالة المطبوعة وحال بذلك دون وصولها إلى وجهاتها . .

ولما أن يئس الرئيس من ما كيلان وقدمضى عليه أكثر من عام وهو لايعمل أكثر من تدريب جنده ولا ينفك يطلب فرقاً جديدة ؛ رأى أن الموقف يقضى عليه أن يدرس فنون الحرب والتعبئة ؛ أليس هو بحكم مركزه القائد الأعلى للقوات البرية والبحرية ؟ وإذاً فعليه أن يتعلم فن الحرب اليوم كما تعلم مسح الأرض من قبل وتخطيطها وكما تعلم القانون حتى حذقه ، بل وكما تعلم القراءة والكتابة قبل ذلك جميعاً وهو بين مطارح الغابة

شمر الرئيس عن ساعده وراح يدرس ويتعلم لايني ولا يكل ساعات طويلة من النهار وساعات من الليل ؛ الخريطة مبسوطة أمامه، ومعلموه من الحربيين يتناوبون العمل معه واحداً بعد الآخر حتى فهم بعض الفهم وأصبح له شيء من الرأي ! يالله من هذا العبقرى الجبار الذى يحمل على كتفيه ما كان ينوء بحمله أطلس أو آخيل !

واستطاع الرئيس بمدمدة أن يدلى للقواد برأى فى فنهم، ولكنه كان حذرا يعرض الفكرة ويترك القطع بصحتها للقائد المرسلة إليه. ولقد كتب مرة إلى أحدهم برأيه ثم شدد عليه ألا يتقيد به قائلا إنه يلومه أكبر اللوم إن هو تحيز له أو تردد عن العمل بما تمليه عليه خبرته إذا كان ذلك الرأى لا يتفق وهذه الخبرة . . .

على أنه يكتب إلى ما كيلان نفسه ذات مرة مشيرا عليه بما يجب أن يعمل ، فى خطة مرسومة على أساس فنى ، ولما رد ما كيلان عليه برفض تلك الخطة لم يقره الرئيس ، وعاد فكتب إليه يسأله أسئلة تدل على فهم دقيق وإلمام شامل ، ويدع له أن يجيب على تلك الأسئلة الفنية إجابة صريحة نزيهة والرئيس مستعد بعدها أن يقره .. ثم تحاكما إلى إخصائيين، فما زال الرئيس يدلى لهم بحججه ويريهم أن خطته أضمن وأسلم من خطة القائد ما كيلان ، ولكنهم آخر الأمر أقروا خطة ما كيلان ، فلم يسع الرئيس إلا أن يذعن وإن كان لا يزال يرى وجاهة آرائه ..

(يتبع)   الخفيف

الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٧ —

منزلته الشعرية

كان الكميت شاعراً عالماً جمع من الثقافة العلمية مالم يجتمع لشاعر فى عصره ، حتى قال بعضهم : كان فى الكميت عشر خصال لم تكن فى شاعر : كان خطيب بنى أسد ، وفقيه الشيعة ، وحافظ القرآن ، وثبت الجنان ، وكان كاتبا حسن الخط ، وكان نسابة ، وكان جدليا ، وهو أول من ناظر فى التشيع مجاهراً بذلك ، وكان راميا لم يكن فى بنى أسد أرمى منه ، وكان فارسا ، وكان شجاعا ، وكان سخيا دينا

وقال أبو الفرج الأصبهانى : أخبرني عمى ، قال حدثنى محمد بن سعد الكرانى ، قال حدثنا أبو عمر العمرى عن لقيط ، قال : اجتمع الكميت بن زيد وحماد الراوية فى مسجد الكوفة ، فتذاكرا أشعار العرب وأيامها ، فخالفه حماد فى شيء ونازعه ، فقال له الكميت : أتظن أنك أعلم منى بأيام العرب وأشعارها ؟ قال : وما هو إلا الظن ، هذا والله هو اليقين ، فغضب الكميت ثم قال له : لكم شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان تروى ؟ ولكم شاعر أعور أم أعمى اسمه فلان بن عمرو تروى ؟ فقال حماد قولا لم يحفظه ، فجعل الكميت يذكر رجلا رجلا من صنف صنف ويسأل حماداً هل يعرفه ؟ فاذا قال لا ، أنشده من شعره جزءا جزءا حتى ضجرنا ، ثم قال له الكميت : فاني سائلك عن شيء من الشعر ، فسأله عن قول الشاعر :

طرحوا أصحابهم فى ورطة قذفك المقلة شطر المعترك

فلم يعلم حماد تفسيره ، فسأله عن قول الآخر :

تدريننا بالقول حتى كأنما يدرين ولداناً تصيد الرهادنا

فأفحم حماد ، فقال له : قد أجلتك إلى الجمعة الأخرى ، فجاء حماد ولم يأت بتفسيرها ، وسأل الكميت أن يفسرها له ، فقال : المقلة حصاة أو نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم إذا سافروا ، وتوضع فى الاناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها ، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء ، والشطر النصيب ، والمعترك الموضع الذى يختصمون فيه فى الماء ، فيلقونها هناك عند الشرب ، وقوله (يدريننا) يعنى النساء ، أى ختلتنا فرميننا ، والرهادن طير بمكة كالعصافير .

وذكر ياقوت أن ابن عبدة النساب قال : ماعرف النُّسَّابُ أنساب العرب على حقيقة حتى قال الكميت النزاريات ، فأظهر بها علماً كثيراً ، ولقد نظرت فى شعره فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيامها .

وأخرج ابن عساكر أنه كان يقال : ماجمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ماجمع الكميت ، فمن صحح الكميت نسبه صح ، ومن طعن فيه وهن .

وقال أبو عكرمة الضبي : لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ، ولا للبيان لسان .

وقد عنى ابن الأعرابى بدرس شعر الكميت ، ولم يكن يعنى إلا بالشعراء الفحول الذين يعرفون الأنساب ، أو يمتون بعرق إلى الأساليب الجاهلية ؛ ولم يعن ابن الأعرابى بدرس شعر الكميت فحسب ، بل كان يذكر به من يغفلون عنه حين يعرضون عليه ماعرفوا من معانى الشعراء .

وأخرج أبو عكرمة الضبي عن أبيه قال : أدركت الناس بالكوفة يقولون : من لم يرو :

« طَرِبْتُ وماشوقاً إلى البيض أَطْرَبُ »

فليس بهاشمى ، ومن لم يرو :

« ذكر القلبُ إلْفَهُ المهجورا »

فليس بأموى ، ومن لم يرو :

« هلاَّ عرفتَ منازلاً بالأبرقِ »

فليس بمهلبي ، ومن لم يرو :

« طَرِبْتَ وهاجَكَ الشوقُ الحثيثُ »

فليس بثقفى .

فهذا كله إلى مانقلناه عن معاذ الهراء يظهر لنا كيف كانت طائفة كبيرة من العلماء والأدباء تتعصب للكميت وشعره إلى هذا

الحد من التعصب ، ومانظن أن نظرهم فى هذا كان يجاوز جانب اللفظ والمعنى فى شعر الكميت ، فلا ينظرون إلى شىء آخر بعدهما يسمو به الشعر أكثر مما يسمو بهما ، ويمتاز به الكميت ابن زيد على شعراء عصره جميعاً .

وكان يوجد إلي جانب هذه الطائفة المتعصبة للكميت طائفة أخرى من الأدباء والشعراء تتعصب عليه وتقدح فى شعره ، ومن هؤلاء المتعصبين عليه بشار بن برد ، وكان يقول : ما كان الكميت شاعراً ، فقيل له كيف وهو يقول :

أنصفُ امرىء منْ نصف حىّ يسبنى
لعمرى لقد لاقيتُ خطباً من الخطبِ
هنيئاً لكلبٍ أن كلباً تسبنى
وأنى لم أردد جواباً على كلبِ
لقد بلغتْ كلبٌ بسبىَ حظوةً
كفتها قديماتِ الفضائح والوصبِ

فقال بشار : لا بَلْ شانئك ، أترى رجلا لو . . . ثلاثين سنة لم يستملح منه شىء ؟

وقد كان مذهب بشار في الشعر إيثار اللفظ السهل على العويص ، وكان فى هذا قدوة من أتى بعده من الشعراء المولدين ، والكميت يخالفه فى هذا المذهب مخالفة تامة . قال محمد بن أنس الأسدى ، حدثنى محمد بن سهل راوية الكميت ، قال سمعت الكميت يقول : إذا قلت الشعر فجاءنى أمر مستو سهل لم أعبأ به حتى يجىء شىء فيه عويص فأستعمله

ومن هنا يجىء تحامل بشار على الكميت . وعندى أنه لا يصح أن يقدح فى الشعر أن تكون ألفاظه سهلة أو عويصة ، فلكل من ذلك مقامه فى طباع الشعراء وتمكنهم من اللغة وغريبها ، وكذلك ما يحيط بالشاعر من ظروف الزمان والمكان وغيرهما

وممن كان يتعصب على الكميت أيضاً رؤبة بن العجاج ، وقد ذكر المبرد عن رؤبة أنه قال : قدمت فارس على أبان بن الوليد البجلى منتجعا له ، فأتانى رجلان لا أعرفهما فسألانى عن شىء ليس من لغتى فلم أعرفه ، فتغامزا بى ، فتقبعت عليهما فهمدا . ثم كانا بعد ذلك يختلفان فيسمعان منى الشىء فيكتبانه ويدخلانه فى أشعارهما ، فعلمت أنهما ظريفان ، وسألت عنهما فقيل لى : هما الكميت والطرماح

وكان ذو الرمة يرى فى الكميت ما يراه فيه رؤبة بن العجاج ، وقد أتى الكوفة فلقيه الكميت فقال له : إنى قد عارضتك بقصيدتك ، قال أى القصائد ؟ قال: قولك :

ما بالُ عينك منها الماء ينسكبُ كأنه من كلى مفرية سَربُ

قال: فأى شىء قلت ؟ قال قلت:

هل أنتَ عن طلب الأيفاعِ منقلبُ
أم كيف يحسن من ذى الشَّيبة اللَّعِب

حتى أتى عليها ، فقال له : ما أحسن ما قلت ، إلا أنك إذ شبهت الشىء ليس تجىء به جيداً كما ينبغى ، ولكنك تقع قريباً ، فلا يقدر إنسان أن يقول أخطأت ولا أصبت ، تقع بين ذلك ، ولم تصف كما وصفت أنا ولا كما شبهت . قال : وتدرى لم ذاك ؟ قال : لا ، قال : لأنك تشبه شيئاً قد رأيته بعينك ، وأنا أشبه ما وصف لى ولم أره بعينى ، قال : صدقت هو ذاك

وليس هذا من رؤبة وذى الرمة إلا تعصباً على الكميت من أجل أنه كان حضريا ، وأنهما كانا بدويين يذهبان فى الشعر مذهب أهل البدو . وقد ذكرنا أن الكميت كان يجمع فى شعره بين أدب الحاضرة والبادية ، فكان من جهة اللفظ والأسلوب كسائر شعراء البادية فى الاسلام والجاهلية ، وكان من جهة الغرض الذى يرمى إليه فى شعره حضرياً يذهب فى ذلك مذهباً جديداً يليق بشاعر مثقف بمثل ثقافته ، وهو فى هذا يخالف شعراء عصره إذ كانوا يذهبون فى أغراض الشعر مذهباً بدوياً جاهلياً لا أثر فيه للثقافة الاسلامية ، ولا تتفق غايته مع الغاية التى كان يجب أن تكون غاية الشعر فى هذا العصر

والشعر عندنا كما يوزن بألفاظه ومعانيه يوزن بأغراضه ومقاصده ، فلا يصح أن يكون الشعر الذى له غاية سامية فى الحياة كالشعر الذى لا يراد منه إلا اللهو والعبث ، وليس جد الحياة كهزلها ، ولا حقها كباطلها ، فليكن جد الشعر فوق هزله ، وليكن حقه فوق باطله ، وليكن الكميت فى هاشمياته فوق شعراء عصره جميعاً

عبد المتعال الصعيدى

من أمل فلسطين

وطن يعذب في الجحيم

للأستاذ أحمد محرم

خُلُقُ (العروبةِ) أن تجدّ وتدأبا ... وسجيّةُ (الإسلام) أن يتغلبا
لا تلكَ تخفض من جناحيها، ولا ... هذا يُريدُ سوى التفوّق مطلبا
رَفعَ النفوسَ عن الصَّغارِ، وصانها ... عن أن تخافَ عدوّه أو ترهبا
دِينُ الفتوّةِ والمروءةِ، ما طغت ... لُجَجُ المنـايا حَوْلَه فتهيّبا
المؤمنونَ على الحوادثِ إخوةٌ ... لا يعرفون سوى (الكتاب) لهم أبا
سَلْهُمْ على شَرَفِ الأبوّةِ هل رَعوا ... ما سنّ من أدبِ الحياة وأوجبا؟
بيتٌ تفرّق في البلادِ، وأسرةٌ ... صَدعَ الزمانُ كيانها فتشعّبا
وَهَنَ البناء، فعاثَ في فَجَواتِه ... عادي الفساد مُدمّراً ومُخرّبا
لبّيكَ يا (وطنَ الجهادِ) ومرحبا ... لبّيكَ من داعٍ أهابَ وثوّبا
لبّيكَ إذ بلغَ البلاء، وإذ أبى ... جدُّ الزمانِ وصرفُه أن نلعبا
مَنْ ذا يرى دمَهُ أعزَّ مكانةً ... من أن يُخضّبَ من (فلسطين) الرُّبى؟
كَبُرَتْ حين عفا الوفاء، وما عفا ... في أرضها أثرُ (البُراقِ) ولا خبا
إني أرى (المعراجَ) عند جلاله ... وأرى (النبيّ) وصحبه والموكبا
وطنٌ يُعذّبُ في الجحيم وأمّةٌ ... أعزِزْ علينا أن تُصابَ وتُنكَبا
بقلوبنا الحرّى، وفي أحشائنا ... ما شبّ من أشجانها وتلهّبا
وبنا من الألمِ المبرّحِ ما بها ... وأرى الذي نلقى أشدّ وأصعبا
نتجرّعُ البلوى، وندّرعُ الأسى ... نرعى لإخوتنا الذمامَ الأقربا
إنّا لنعلمُ أنّ آكلَ لحمهم ... سيخوضُ منّا في الدماء ليشربا
جعلوا الكفاحَ عن العروبةِ حرثَهم ... وتعهّدوه، فكان حرثاً طيّبا
يَسقون ما زرعوا دماً في مخصبٍ ... لولا الدّمُ الجاري لأصبح مُجدبا
(البيتُ) يطربُ من أنين جريحهم ... أرأيتَ في الدنيا أنيناً مطربا؟
إنّ الذي زعمَ السلامَ مرادَه ... جعلَ الدماء سبيلَه والمركبا
إن كان قد غمرَ الزمانَ وأهلَه ... كذباً، فمِنْ عاداته أن يكذبا
رَكِبَ الرياحَ إلى القويّ، يروضُه ... شرساً، يُقلّبُ نابَه والمخلبا
طارتْ به، وفؤادُه في روعةٍ ... يتلمّسُ المهوى ويبغي المهربا
أرأيتَ إذ سكبَ الدموعَ غزيرةً ... يأبى الحياء لمثلها أن يُسكبا؟
متصنّعٌ، باسم الضعيفِ يُريقها ... وهو الذي تركَ الضعيفَ معذّبا
ما كان أصدقَ نُسْكَه لو أنه ... رحمَ البريء، ولم يُحابِ المذنبا
يهذي بذكرِ العدلِ في صلواته ... أرأيتَ عدلاً بالدماء مخضّبا؟
(رُسُلَ العروبةِ) هل سألتم جرحها ... ما بالُه استعصى؟ وماذا أعقبا؟

* * *

جُرحٌ تقادمَ عهدُه، وتفتّحتْ ... أفواهُه تدعو الأساةَ الغُيّبا
أنتم أساةُ الجرحِ، فاتخذوا له ... من طبّ (شيخ أساتكم) ما جرّبا
وصفَ الدواء لكم، وخلّفَ علمَه ... فيكم، فأين يريد منكم من أبى؟
يا قومِ لستم بالضعافِ فغامروا ... وخذوا مطالبكم سِراعاً وثّبا
أفما كفاكم قوّةً من دينكم ... ما جمّعَ الإيمانُ فيه وألّبا؟
يا (آلَ يعرب) مَن يُريني (خالداً) ... يُزجي الخميسَ، ويستحثُّ المقنبا؟
مَن شاء منكم فليكنه، ولا يقل ... ذهبَ القديمُ، فإنه لن يذهبا
السرّ باقٍ والزمانُ مجدّدٌ ... والسيفُ ما فقدَ المضاءَ ولا نبا
رُدّوا المظالمَ عن محارمِ أمّةٍ ... ردّت ظنونَ ذوي الجهالةِ خُيّبا
لم يُعطِ أوطانَ العروبةِ حقّها ... مَن كان يطمعُ أن تُباعَ وتوهبا

أحمد محرم

جحيم

للأستاذ عبد الحميد السنوسي

أتخافين في اقترابك مني ... واقترابي مصارع العشاق ؟
أم تخافين أن ترانا عيون الـ ... ـناس في خلوة وطيب عناق ؟
أم تخافين ألسن الناس تمشي ... في هوانا بالسوء عند التلاقي ؟
أم تخافين لوم من ليس يرضيـ ... ـه لقائي واللوم مر المذاق ؟
لو سما غيرنا إلى أفق الحب ... ولاقوا في حبهم ما نلاقي
لاستراحوا من التهامز والغمز ... فقرّتْ قلوبهم والمآقي
ضللتهم شكوكهم فاستباحوا ... ما استباحوا من الدم المهراق
وبقينا كما ترانا صديعين ... على الدهر في جحيم باق
لِمَ مَنَّيْتِني إذا كنت تخشين ... لقائي وتنكرين اشتياقي ؟
لِمَ جددت باللقاء الأماني ... ثم عذبتني بهذا الفراق
لِمَ أوريت باللقاء حنيني ... ثم أسلمتني إلى أشواقي ؟
لِمَ عجّلت في اللقاء بتوديـ ... ـعي فودعتني بهذا التلاقي ؟
أتسرين بالضرام إذا ما ... شب في أضلعي وفي أحداقي
أم تسرين بالمدامع تجري ... إن دمعي دم الفؤاد المراق !
عبثاً أرتجي لقاءك ما دمـ ... ـتِ تخافين خلوة المشتاق
عبثاً أرتجي لقاءك ما دمـ ... ـتُ على القرب والنوى في احتراق

أين عيناك

للاديب محمد هاشم الموصلي

يا حبيبي تطاول البعد واربدّ ... تْ سمائي بحالكٍ من غمام
أين عيناكَ تقرآن بعينيّ ... سطور الشقاء والآلام
وأرى فيهما بريق أمانيّ ... فيغفو قلبي على الأحلام
أبداً تعتري فؤاديَ ذكرا ... كَ فاهتزّ من أسى وهيام
كلما أوشكتْ تحور إلى البر ... ء جراحي تجدّدتْ بابتسام
يا نجيّ في وحدتي وسميري ... ورُؤى مقلتي وطيف منامي
طف بقلبي كما تطوف الأمانيّ ... وهدهد جرح الغرام الدامي
ثم كفكف مدامعي فعيوني ... ليس ترقا من لوعة وغرام
وارْوِ من مورد الحنان بقايا ... مهجة لم تُرَعْ من الأسقام

«حمص» — محمد هاشم الموصلي

كيف يعيشون ...؟

للاستاذ رفيق فاخوري

من لي بقلب كالصفاة مُغْلق ... غفلان من سجن الهموم مغلق
خال ــ كجوف العير ــ مما ينفع ... ليس له وليس فيه مطمع
من العلوم والفنون أصفى ... فما يحير الدهر منه حرفا
لا يعرف الكتْب ولا الدروسا ... أفرغ من فؤاد أم موسى
إمّا يطف به الغباء يعلق ... وإن يلامسه الذكاء يزلق
من لي بمال تالد ما تعبت ... يدٌ بجمعه ولا رجلٌ سعت
أنفقه في طاعة النفس متى ... شئت ولا أعرف من أين أتى
يسحرني في الكيس حسن شكله ... يعجبني في السوق صدق فعله
أحمد آبائي عليه ألفاً ... أغرف باليدين منه غرفا
ببأسه أطول من يطاول ... بسيفه أصرع من يصاول
أشرى به جاهاً وعزاً أغلبا ... وسؤدداً فوق السُّها مطنَّبا
ونسباً متصلاً بيعرب ... ما خالطته لوثة من أجنبي
لو أن لي هذا الذي وَصَفتُ ... لعشتُ في قومي كما أردت
سبحان من قد سوّد البهائما ... وخصّ بالمكرمة السوائما

رفيق فاخوري



والله لا يستحى من الحق

قرأ ابن كثير فى رواية شبل : « لا يستحى » بياء واحدة ، وهذه تميمية ، كما قال الأخفش ، واستحيا حجازية ، « ووزنه على هذا (يستفع) إلا أن الياء نقلت حركتها إلى العين وسكنت ؟ وقيل المحذوف هى العين وهو بعيد » كما قال العكبرى ، وفى (الأساس) : « واستحييت منه ، واستحيت ، وأنا أستحى منه » وفى (الصحاح) : « يقال : استحيت بياء واحدة ، أعلوا الياء الأولى والقوا حركتها على الحاء » قال سيبويه : « وإنما فعلوا ذلك حيث كثر فى كلامهم » وفى (القاموس) : «واستحى منه » وفى (التاج) كلام مستفيض فى هذه اللفظة، وفى (اللسان): « واستحيا واستحى حذفوا الأخيرة كراهية التقاء الياءين . الأزهرى : للعرب فى هذا الحرف (يعنى الكلمة) لغتان » واستحيا هى الفصحى ، واستحى فصيحة

(***)

جائزة واصف غالى باشا

أرسل واصف بطرس غالى باشا إلى المسيو فرنسوا بياترى رئيس جمعية « فرنسا ومصر » كتابا قال فيه : —

« بمناسبة الذكرى الثالثة لانشاء هذه الجمعية رأيت تنويها بما تبديه فرنسا من الاهتمام الخاص نحو مصر أن أرسل إليكم تحويلا بألف جنيه عسى أن يكون فى وسع الجمعية أن تنشىء من إيراد هذا المال جائزة لمكافأة الأعمال الفنية والعلمية والأدبية التى تزيد فى إنماء العلاقات والروابط العلمية والأدبية والاقتصادية بين البلدين، أو تنشىء نوعا من المباراة بين الطلبة الفرنسيين والمصريين فى موضوعات تتناول عمل فرنسا واشتراكها فى أى فرع من فروع الحياة المصرية . وما أوسع مجال هذا العمل منذ الحروب الصليبية إلى الآن . وإنى أعرض عليكم هذا الرأى كعضو فى الجمعية تاركا لكم حرية العمل كما تشاءون »

ومن المعلوم أن واصف بطرس غالى باشا انتخب منذ حين قريب عضوا فى اللجنة الفخرية فى هذه الجمعية

مكتبة الأزهر

تحتوى مكتبة الأزهر على أعظم مجموعة من المؤلفات العلمية القيمة بعد مجموعة دار الكتب المصرية . إذ أن فيها الآن نحو ١٦٠ ألف مجلد فى مختلف العلوم والفنون قديمها وحديثها، وأكثر هذه المجلدات من تأليف فحول العلماء فى مصر والبلاد الاسلامية الأخرى فى العصرين القديم والحديث

ويكاد يزيد المخطوط من المؤلفات فى هذه المجموعة النادرة من الكتب على نصفها . فهو لا يقل بحال عن ثمانين ألف مجلد

ويستطيع من يرى تلك المخطوطات فى المكتبة الأزهرية أن يلمس ما لها من قيمة، فهى تعطى صورة كاملة للخطوط فى مختلف الأمم والعصور الماضية . فهذا أندلسى ، وذاك كوفى ، وذلك فارسى ، وهذه كتابة على رق غزال ، وتلك سطور فى رقاع يرجع تاريخها إلى ما قبل قرون وأجيال

وبين الكتب المخطوطة فى مكتبة الأزهر كتاب « غريب الحديث » للامام أبى عبد الله القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ وهو مكتوب بخط أبى الخطاب الحسينى بن عمر العابدى ؛ وقد فرغ من كتابته سنة ٣١١ هـ أى قبل بناء الجامع الأزهر بثمانية وأربعين عاما

وقد تشرف جلالة الملك فأبدى اهتماما خاصا بهذا الكتاب الذى يكاد يكون أقدم مؤلف مخطوط فى بابه ، وتكاد النسخة الموجودة منه فى الأزهر تكون مقطوعة النظير حتى أن جلالته أوصى بالمحافظة عليه

ويلى هذا الكتاب فى قدم العهد بكتابته مؤلف مخطوط آخر هو « رسالة في الحاسد والمحسود » ألفها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وكتبها بخطه على بن هلال المتوفى سنة ٤١٢ هـ . أى أن هذه الرسالة قد مات كاتبها منذ ٩٤٤ سنة

وفى المكتبة مجموعة من المصاحف المخطوطة مختلفة الأحجام والخطوط ، ومنها مصحف يرجع تاريخ كتابته إلى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وهو مكتوب بالخط الكوفى على رق غزال من القطع الكبير

ومنها مصحف كتبه على بن أمير حاجب بخطه سنة ٧٢٢ هـ وأتم كتابته فى ستين يوماً ، وهو فى مجلدين كبيرى الحجم ، فى كل منهما نصف القرآن . ويمتاز هذا المصحف الخطى النادر بما فى أوله من إحصاء دقيق بعدد حروف القرآن ، وآياته ، وسوره ورموز القراءة ، والسجدات والسور التى تشتمل على الناسخ والمنسوخ ، وكيفية نزول القرآن ، وجمعه وبيان بعض القراءات

حول تيسير قواعد الاعراب

لقد شاءت الآنسة الفاضلة (أمينة شاكر فهمى) أن ترد على بعد أن نبهتها إلى تلك الأخطاء الظاهرة فى ردها الأول ، ومنها أنها لا تزال تدعى أنى غيرت الاعراب وأبقيت القواعد على ماهى عليه ، مع أنى غيرت القواعد أولا ، ثم غيرت الاعراب ثانياً ، وإنى بعد هذا لا يسعنى إلا أن أختار السكوت فيما بينى وبينها ، والسكوت فى بعض الأحيان قد يكون خير رد

(أزهرى)

دراسة التصوف فى أوربا

يحلو لكثير من المشتغلين بدراسة التصوف الاسلامى أن يقارنوا بينه وبين التصوف فى العصور الوسطى فى أوربة ، وبينهما وبين التصوف الهندى ، وهى بحوث لا تخلو من لذة ، ويزعم بعض المستشرقين أمثال الأستاذ فون كريمر أن التصوف الاسلامى يرجع فى بعض نواحيه إلى النرفانا ، ويماثلونها (بالفناء) عند الصوفية من أهل الاسلام ، وينقض هذا الرأى الأستاذ رينولد نيكلسون — وهو اليوم أعظم المشتغلين بهذه الناحية — ويرى أن الزهد الاسلامى مستقل عن أى تصوف آخر ، ويميل لهذا الرأى الأستاذ ماسينيون وهو أيضاً من أقطاب الباحثين فيه

وعلى الرغم من كثرة الكتب فى هذا الباب ، فان هناك عددا وفيرا لازال رهن المخطوطات ، ومبعثرا فى دور كتب أوربا ؛ ومن المشتغلين اليوم بهذا الفرع من الدراسة الأستاذ آرثر حنا أربرى (وكان من قبل أستاذا بكلية الآداب بالجامعة المصرية) فنشر بعض مخطوطات منها كتاب (المواقف والمخاطبات) لمحمد بن عبد الجبار النِّفرى (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ) ، وطبعه فى سلسلة جب التذكارية ، وأرفق النص بترجمة له ، ودراسة وافية — بالانجليزية — عن الألفاظ الصوفية التى استعملها المؤلف ، واصطلاحات المتصوفة ومقدمة فى حياة النِّفرى .

وأسلوب النفرى فى غاية العمق ، كما أن كثيرا من عباراته تكاد تكون غامضة مبهمة تتطلب خبرة غير قليلة ودراسة قوية للتصوف ، أما المخاطبات فبينه وبين الحق ، كما فى قوله (أوقفنى فى العلم وقال لى : حجبتك بعلمك فى حجاب من علمك فما عرفتنى ، فان لم تخرج من علمك إلى معرفتك فأنت فى حجاب من العلم) وابن عبد الجبار النفرى يتكلم عن ناحية الالهام وعن الذات الالهية ، ومواقفه بين يدى الحق مثل موقف العز والانتقام والخوف ثم تعتريه حالات تطرأ على نفسه فيذكرها

كذلك نشر الأستاذ أربري من قبل فى مصر كتاب التوهم للحارث بن أسد المحاسبي (سنة ٢٤٣ هـ) وهو أشبه مايكون برواية طريفة فى ذكر الجنة والنار ، وكان ابن أسد المحارثى هذا من معاصرى احمد بن حنبل (راجع تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١١ — ١٢٦) وأسلوب المحاسبي فى هذا الكتاب أميل للناحية الأدبية ، والقطعة التالية منه تبين أسلوب الكتاب ومرمى المؤلف ، يقول « وتوهم حين وقفت بالاضطراب يرعد قلبك ، وتوهم مباشرة أيديهم على عضديك وغلظ أكفهم حين أخذوك ، فتوهم نفسك محثوثة فى أيديهم وتوهم تخطيك الصفوف ، طائر فؤادك ، فتوهم نفسك كذلك حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فقذفوا بك من أيديهم ، وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه ، « أدن منىّ يا ابن آدم » فَغَيَّبَكَ فى نوره » وقوله فى موضع آخر حيث الصراط « فتوهم نفسك وقد انتهيت إلى آخره فغلب على قلبك

النجاة ، وعلا عليك الشفق ، وقد عاينت نعيم الجنان وأنت على الصراط » . .

ويشتغل الأستاذ أربرى هذه الأيام فى إخراج مخطوط آخر للمحاسبي ، وهو يجد لذة فى إخراج أمثال هذه المخطوطات التى ليس من شك فى أنها تلقى ضوءاً جديداً على دراسة التصوف ، وتنير السبيل للباحثين فيه .

وهناك من المستشرقين المهتمين بهذه الناحية الأستاذ ميشيل أزين بلاتشيوس الاسبانى ، وهو يعكف منذ أمد بعيد على دراسة التصوف الاسلامي، والفلسفة الاسلامية وخاصة ما كان منها متعلقاً بمسلمى أسبانيا ، وقد نشر منذ أمد بعيد رسالة قيمة عن ابن مرة (بالاسبانية) عالج فيها مبادئه وآراءه ، وأفكاره السياسية ، وبسط فيها الفكرة الشيعية التى أثرت عليه فجعلت منه داعياً وفيلسوفاً .

المستشرقون والحياة الشرقية

فى الخامس من شهر سبتمبر الماضى انعقد بمدينة بروكسل مؤتمر المستشرقين ، حيث ألقى فيه الأستاذ (بروجاماون) — وهو من علماء الاستشراق المعروفين بحثاً وافياً عن تطوّر الشعر العربى فى نصف القرن الأخير ، وألمّ فيه ببعض شعراء مصر .

واهتمام المستشرقين بدراسة الأدب العربى ليس بالشئ الجديد ، وإن كان — على أية حال — يشير إلى عناية هؤلاء القوم بدراسة الشرق فى نواحى تفكيره المختلفة . وفى عصوره القديمة والحديثة على السواء

ودراسة المستشرقين لأقطاب الفكر العربى دراسة تخلو من كل مغمز ، قوامها تحليل ما يكتبه هؤلاء ، وعرض آثارهم الفكرية على العالم الغربى والمهتمين بتتبع الأمور فى بلاد الشرق .

ومنذ أمد قريب نشر الأستاذ كراتشوفسكى المستشرق الروسى مقالا عن الأدباء المحدثين فى مصر وسورية ، كما نشر من قبل الأستاذ جب سلسلة من الأبحاث القيمة الدقيقة فى مجلة مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، تناول فيها أدباء مصر ومؤلفاتهم ، كذلك نشر الأستاذ كمفاير عدة بحوث عن شاعر العراق المرحوم جميل صدقى الزهاوى ، وترجم إلى الألمانية بعض قصائده والمتتبعون لما يكتبه الدكتور بروكلمان يرون أنه فى الملاحق التى أضافها لكتابه القيم Jeschichte der Arabischen Litteratur قد تناول كثيرين من أدباء العربية فى مصر والشام والمهجر أمثال العقاد وهيكل والمازنى وطه حسين والزيات ومنصور فهمى وسلامة موسى وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة واليازجى وغيرهم مشيراً خلال ذلك إلى إنتاجهم الفكرى فى الترجمة والتأليف

ولما طبع المرحوم شوقى بك روايته (مجنون ليلى) ترجمها باذن منه الأستاذ أربرى Arbry وكان إبان ذلك الوقت أستاذاً بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ولقد حافظ المترجم فى ترجمته هذه على الروح الأصلية فجاءت آية فى بابها ، ومثالا يحتذى فى دقة الترجمة ، وإدراك المعانى كما تدل على أصالة شعرية وطبع موهوب، ولعل البعض يسأل عن علة اختيار هذه الرواية بالذات؟ والجواب على ذلك أن الأستاذ من لهم ولع بدراسة التصوف الاسلامى وفى رواية مجنون ليلى تتجلى روح قل أن تنبه لها إلا القليلون ، تلك هى أن ليلى عاشت عذراء وماتت عذراء طاهرة رغم زواجها

وقصارى القول أن عناية المستشرقين بنقل روائع الأدب العربى الحديث إلى لغاتهم الأوربية أو الكتابة عن أقطاب الفكر فى مصر والشام وغيرهم من المعاصرين لها دلالتها على حيوية الأدب الحديث ، كما أن فيها إطلاع الغرب على النهضة الفكرية فى الشرق

ع . ع



شيء من لا شيء أيضاً

مدت سينما ستوديو مصر عرض فلمها الأول لهذا الموسم (شيء من لا شيء) أسبوعاً آخر، دالة بذلك على أن الاقبال عليه كان عظيما فى الأسبوع الأول. وهذا صحيح، فقد أقبل المتفرجون والمتفرجات زرافات ووحدانا ومن كل فج من فجاج القاهرة والضواحى لرؤية باكورة إنتاج ستوديو مصر في هذا الموسم، ومصدر ذلك الاقبال الذى شاهدناه بأعيننا هو أن الجمهور اعتاد من هذا الاستوديو الكبير أفلاماً ممتازة بين زميلاتها المصرية، قوية بالنسبة لغيرها، فى الموضوع والاخراج والتمثيل والمونتاج. وقد يجوز لنا أن نعترف لهذا الفلم بأنه حقق الأمل ولكن إلى حد، لأنه وإن كان قوياً فى بعض النواحى ضعيف فى أكثرها، ولا سيما الفنية منها. وذلك ما نأسف له كثيراً، ونهتم له كثيراً فى الوقت عينه. وما دمنا كذلك فلا يلمنا لائم إذا نحن عرضنا لتعداد بعض ما فى هذا الفلم من عيوب، بعضها ظاهر لاحظه الجمهور كما لاحظناه، وسجله نقاد آخرون كما سجلناه، والبعض الآخر تسنى لنا أن ننفرد بتسجيله حتى يتنبه المسؤولون إليه ويعنوا بتلافيه فى الأفلام القادمة

الرواية: خيالية شرقية مقتبسة من ألف ليلة وليلة، وهى فى الأصل غنية بالمواقف المؤثرة والمناظر المضحكة والعبارات الرائقة وفى رأينا أنها صالحة لأن يصنع منها سيناريو جيد

السيناريو: كان ضعيفاً مع الأسف الشديد، فليست له وحدة تجلو الموضوع من جهة، و(التقطيع) فيه مقتضب وغير متمش مع أصول القصة من جهة أخرى، وقد كان ذلك مثار دهشة النقاد جميعاً لأن أفلام الاستوديو السابقة كان لها سيناريات أقوى وأمتن وأدق من هذا السيناريو

الاخراج العام: لعله أحسن ما فى هذا الفلم. وهذه شهادة طيبة للأستاذ بدرخان مخرجه، فقد راعى فيه الفن كل المراعاة

تصميم الديكور: لم يكن به عيب، ولكن أغلبه التقط من زوايا غير مناسبة ومجموعة الديكور فى (شيء من لا شيء) خير من سائر مجموعات الأستوديو السابقة بلا استثناء.

الملابس: لم نفهم فيها شيئاً، وكانت خليطاً غريباً من ملابس العرب والمسلمين والروس والأروام فى وقت معاً، ولعل مرجع ذلك أن الرواية خيالية، وتنسيق الملابس كان اجتهادياً

الحوار: كان سخيفاً مع أن واضعه من مشاهير كتاب الحوار. وقد علمنا أنه كان بكتابته سجعاً، وقد بينا أثر السجع على انتباه الجمهور فى العدد الماضى فلا داعى لإعادته. ونحن نرجو بشدة ألا يتكرر مثل هذا.

الأغانى: لم يصادفها التوفيق قط، وكان تلحينها (أوبرا) مزيفة، وفى مناسبة الأوبرا ومناسبة الغناء الارتجالى العادى، وكانت فاترة ولاسيما أغانى بطل الفلم عبد الغنى السيد الذى سمعنا له مقطوعات فى الاذاعة أقرب إلى طبيعة صوته وأدنى إلى الجودة وبراعة التلحين من مقطوعاته بالفلم.

التمثيل: وفق الأبطال المضحكون الثلاثة كل التوفيق فى اضحاك الجماهير. ولكنهم فشلوا كممثلين سينمائيين. فقد كانوا يتبعون طريقة المواقف المسرحية الاستعراضية، وكانوا يكثرون من (القفش والتنكيت) وكان لهم فى بعض المواقف (تهريج) غير محمود وإن كنا نظن أنه أعجب كثيراً من الناس. وقد طغى الجانب الفكاهى على الجانب الفنانى، وفشلت نجاة على وزميلها عبد الغنى السيد فى أداء دوريهما فشلاً ذريعاً، والمسئول عن ذلك هو المخرج دون سواه؛ ويكفى أن نقول إن وجه عبد الغنى السيد لم يكن يعبر عن شيء قط، وكانت حركات فمه أثناء الغناء غير متفقة مع مخارج الكلمات التى ينطقها!

المونتاج : أصيب الفيلم من جرائه بتلف كبير واقتضبت لقطات كثيرة دون سبب ظاهر . مثال ذلك عبد الغنى السيد حين عاد إلى غرفة حبيبته من الخارج فوجد بها الأمير عنتر يحاول أن يقبلها ، فقد رأيناه يدخل الغرفة ، ثم رأيناه مباشرة (نازل طحن) فى الأمير عنتر ورجاله بسيف من سيوف الشيش لم يعرفه المسلمون دون ريب من قبل هذا الفيلم ! ولولا المونتاج لكان الفيلم أقوى كثيراً مما هو الآن

كلمة أخيرة : ويطول بنا الكلام إذا نحن توسعنا فى ذكر سائر العيوب ولذلك نكتفى بما قدمنا ، راجين من حضرات الاخوان الذين يخصهم هـذا الكلام من رجال الاستديو أن يطالعن بعناية ، ويجتهدوا فى تلافى هذه العيوب فى الأفلام القادمة ولعل ذلك يكون قريباً إن شاء الله ، ان نريد إلا الاصلاح ما استطعنا وما توفيقنا إلا بالله .

والت دیزنی

واخيراً ! ! .

لاشك أن رواد السينما يعرفون رجلا اسمه « والت ديزنى » يقدم لرواد السينما من وقت لآخر قطعا من الرسوم المتحركة الملونة نالت إعجابهم وتقديرهم لأنها فى الحق بلغت الذروة فى جمال رسومها وألوانها . . .



مناظر من رواية الأميرة الصغيرة والأقزام السبعة

استمر والت ديزنى هـذا يعمل ثلاث سنوات فى الخفاء أنفق خلالها مليوناً من الجنيهات المصرية وبمساعدة ٥٠٠ فنان أنتج « الأميرة الصغيرة والأقزام السبعة »

وهى أعظم فلم عرفه العالم فى هذا النوع

بهجة الحياة

رأت شركة ر . ك . و . رادیو أن تشارك الأمة المصرية أفراحها بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك فقررت عرض رواية « بهجة الحياة » أعظم رواية مضحكة أنتجتها شركات السينما للآن تمثيل إيرين دن ودوجلاس فيربنكس الصغير ؛ وهـذه الرواية عرضت في لندن ٤ شهور متوالية، وفي نيويورك ٧ شهور وفي باريس ٣ شهور ، وفى روما ٥ شهور ! !

وقد نالت هذه الرواية نجاحا لم يسبق له مثيل فى العالم ، ويكفى أن نقول : إنها أضحكت كل مدينة بأسرها حينما عرضت فيها ونالت إيرين دن بعد تمثيلها هـذه الرواية لقب أعظم ممثلة مضحكة أما دوجلاس فيربنكس الصغير فقد أصبح من كبار ممثلى السينما بعد أن أضحك أوربا وأمريكا !

إيرين دن فى أحد مواقف « بهجة الحياة »

ومن أظرف ما يروى عن هذا الفلم أنه حين عرض في نيويورك أغمى على ٣٧ شخصاً من شدة الضحك فى الحفلة الأولى ، وكانت هذه أقوى دعاية عرفتها السينما لفلم ما !